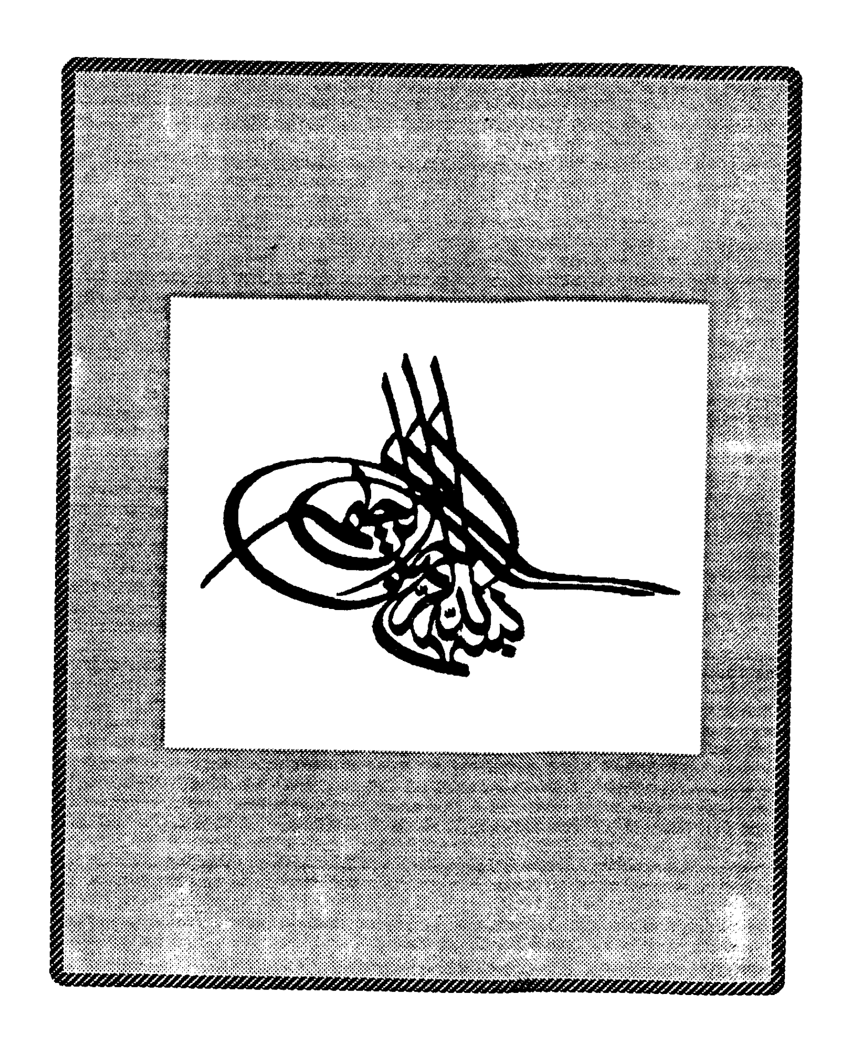
بواكير حركة الترجمة في الإسلام

د/ عبدالحميد عبدالمنعم مدكور
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر
دار الثقافة العربية



مقدمة

تمثل حركة الترجمة بين اللغات حاجة من الحاجات الأصيلة للبشرية ، ويمكن القول بأنها تمثل سبيلاً من أهم السبل لنقل الخبرة والمعرفة - فى صورها ومجالاتها المختلفة - من أمة إلى أخرى ، ومن حضارة إلى أخرى ؛ ذلك أن المجتمعات البشرية تمثل أسرة واحدة ، على الرغم مما قد يكون بينها من اختلافات أو تناقضات ، وهى تواجه - فى حركتها الدائبة لفهم الوجود وبناء الذات وتحقيق التقدم ، وصنع الحضارة - ظروفاً ومشكلات متقاربة أو متماثلة، ينبغى أن تدفعها إلى التعاون لمواجهتها ، وعندئذ تنتقل الخبرة بين الشعوب على نحو أشبه بانتقال السوائل فى الأوانى المستطرقة ، ويجرى هذا الانتقال بطرق ومسالك متعددة ، تأتى الترجمة فى مقدمتها ؛ بسبب امتداد نطاقها ، وعمق تأثيرها ، وثبات نتائجها ، لا سيما إذا تحقق للقائمين عليها وضوح الرؤية وحسن الاختيار ، والصبر ، ودقة التخطيط والتنظيم .

*ومما يوضح هذه الحاجة ويؤكدها أن الحضارة - فى نشأتها وازدهارها - ليست مقصورة على شعب من الشعوب ، وليست منحصرة فى مكان معين ، أو حقبة تاريخية محددة ،بل إنها تتحرك - على امتداد التاريخ - حركة دائبة متنقلة، فقد بزغت فى الشرق قديماً ، ثم انتقلت إلى اليونان ، واستمرت فى روما ، ثم ظهرت -بعد ذلك - على أيدى الشعوب الإسلامية فى الشرق وفى الأندلس ، بتأثير الإسلام ، ثم بتأثير ترجمة التراث الذى أبدعته الحضارات السابقة على الإسلام إلى اللغة العربية، ثم انتقلت الحضارة - مرة أخرى - إلى أوروبا حاملة معها ما أبدعته الحضارة الإسلامية فى أيام نهضتها وازدهارها ، وتبعتها فى ذلك أمريكا ، وبعض المواطن فى الشرق كاليابان والصين والهند وغيرها ، وليست هذه الحضارات مقطوعة الصلة ببعضها البعض ، فالشرق ذو أثر فى فكر اليونان وما قدمته من حضارة وفلسفة ، ولليونان تأثيرها فى جوانب متعددة

من جوانب الفكر الإسلامى ، على الرغم من مشاعر النفور التى واجهت هذا الفكرَ لدى بعض المسلمين ، وللفكر الإسلامى تأثيراته فى نهضة الحضارة الأوربية ، من بعد ، كما يقر بذلك المنصفون من الدارسين ، وهكذا .

*وإذا كانت الترجمة – على هذا النحو – تمثل حاجة إنسانية أصيلة ، يتكامل بها بناء الحضارة ، فإن الترجمة ترتقى – فى بعض الأحيان – إلى درجة الضرورة أو الفريضة الواجبة ، وينطبق ذلك على حالات التخلف التى تقع فيها بعض الشعوب ، نتيجة لعوامل وأسباب داخلية أو خارجية ، فإذا أُتيح لمثل هذه الشعوب أن تطلع على تراث الأمم ، ذات التجارب الحضارية العميقة المكتملة فإنها ستجد فيها – غالباً – ما يعينها على مواجهة تخلفها ، والخروج من كبوتها ، وسيكون للترجمة – عندئذٍ – دور هام ، فى تحقيق هذا الهدف بما تؤدى إليه من اختصار فى الزمن ، واقتصاد فى المجهود ، وقدرة على تخطى كثير من العقبات والمعوقات التى واجهتها الأمم من قبلها .

*ولسنا نعنى أن يتم ذلك عن طريق « استيراد الحلول الحضارية » أو عن طريق « التبعية الحضارية » ؛ لأن الشعوب الأصيلة لابد لها أن تعبِّر عن هويتها ، وتُفصح عن عراقتها وشخصيتها ،ولكن لا بأس – مع ذلك – من المعرفة بتجارب الأمم الأخرى ، التى يمكن النظر إليها على أنها كنز زاخر من كنوز الخبرة الإنسانية ، التى لا يصح تجاهلها ؛ لأنها ستظل – على الرغم مما فيها من القسمات والملامح الخاصة والذاتية – جديرة بالرجوع إليها والإفادة منها .

*وتعد حركة الترجمة التى تمت فى القرون الأولى للإسلام واحدة من كبريات حركة الترجمة التى وقعت فى التاريخ . وقد كانت هذه الترجمة عاملاً فعالاً فى حفظ تراث الأمم السابقة على الإسلام ، وهذا سبب من أسباب أهميتها ، ثم كان لها تأثيرها فى الفكر الإسلامى بصفة عامة ، والفكر الفلسفى

على وجه الخصوص ، وهذا وجه ثانٍ من وجوه أهميتها ، وقد امتد تأثيرها إلى الفكر الأوروبى ثم الإنسانى بعد قيام حركة أخرى للترجمة من اللغة العربية إلى اللغة اللا تينية ليضاف إلى السببين السابقين سبب ثالث يدل على هذه الأهمية .

وليس بمستغرب أن تنال هذه الحركة الكبرى حظها من عناية الدارسين ، وأن تتخذ لها مكاناً فى حديثهم عن نشأة الفكر الإسلامى أو الفلسفة الإسلامية، غير أنه لوحظ أن تركيز هؤلاء الدارسين ينصبُّ – على نحو يكاد يكون مطلقاً – على دراسة حركة الترجمة فى ظل الدولة العباسية ، لا سيما فى عهد الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ) **أما الفترة السابقة على هذه الدولة فلم تنل نصيبها الذي تستحقه من العناية ؛ بل إنها وقعت ضحية للتجاهل التام أحياناً ، أو التناول العابر المقتضب في أكثر الأحيان** ، ولعل ذلك كان بسبب ما أحاط بها من غموض، بسبب صمت المصادر أو شحّها ، وقلة المعلومات أو اضطرابها ، لاسيما فيما يتعلق بالبدايات الأولى لهذه الفترة . ومن هنا تأتى أهمية الغوص فى تاريخها ؛ بُغْيَةَ تبديد هذا الغموض ، ورغبة فى الكشف عما يمكن أن تكون قد انطوت عليه هذه الحقبة من أعمال تدخل تحت مسمّى الترجمة ، حتى وإن تكن قليلة .

وقد كان طبيعياً – بحسب التسلسل التاريخى – أن نقوم بدراسة وضع الترجمة فى عصر صدر الإسلام ، ثم فى ظل الدولة الأموية ، مفسرين ما أحاط بالترجمة فى هذين العصرين من ظروف وملابسات ، وقد مهدنا لذلك بالحديث عن حركة الترجمة العربية الإسلامية ، ومكانتها بين حركات الترجمة الكبرى فى التاريخ ، على نحو يكشف عن أهميتها ويوضح جدارتها بالعناية والاهتمام ، ويبرز الحاجة إلى دراستها فى مراحلها كلها ، بما فيها مرحلة البدايات الأولى ، التى عُنِى البحث بها ، وقد كان من الضرورى أن نسعى – كذلك – إلى تحديد نطاق الترجمة المراد بها ؛ لنميزها عما يمكن أن يلتبس بها من الصور والأشكال ذات العلاقة بها .

وهكذا جاءت هذه الدراسة فى ثلاثة مباحث ، نال كل منها نصيبه من البحث على حسب ما توفر له من مادة علمية ،وما أثير فيه من قضايا أو مشكلات أو تساؤلات ، وقد كان للمبحث الثالث الخاص بالترجمة فى عهد الدولة الأموية القدر الأكبر من ذلك ، بسبب النمو التدريجى للترجمة ، وتطور الظروف المحيطة بها ،كما سيتضح من الدراسة إن شاء الله .

والله نسأل أن يرزقنا سداد الرأى ، وإن يلهمنا الصواب ، إنه سميع قريب ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

عبد الحميد مدكور

المبحث الأول

حركة الترجمة في الإسلام : مكانتها وأهميتها

تُعَدّ حركة الترجمة التى تَمّتْ فى القرون الأولى للإسلام واحدة من كبريات حركة الترجمة التى وقعت فى التاريخ القديم إن لم تكن كبراها ، وقد اتسمت هذه الحركة بالإحاطة والشمول لجوانب المعرفة المعهودة فى العصر الذى تمت فيه ، وجاءت هذه المعارف من حضارات متعددة كالحضارة الفارسية والهندية واليونانية والرومانية ، كما أنها جاءت من لغات متعددة كاليونانية والسريانية والفارسية والعبرية والهندية والنبطية والقبطية ، وقد استحقت – لذلك – أن توصف لدى ديورانت – وهو من كبار المهتمين بالتأريخ للحضارة الإنسانية – بأنها من أجلّ الحوادث وأعظمها شأناً فى تاريخ العالم(١) ووصفها الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور بأنها من أنشط الحركات فى التاريخ ، وأشملها وأطولها نَفَساً ، وأنها جعلت من بغداد وريثة للإسكندرية وأثينا ، وكعبة يحج إليها الباحثون والدارسون من أطراف العالم الإسلامى(٢) .

أ- ويمكن القول بأننا لانكاد نجد – قبل حركة الترجمة العربية الإسلامية- حركة تماثلها أو تقاربها من حيث شمولها واتساع نطاقها وتنوع مجالاتها ، وضخامة آثارها والنتائج المترتبة عليها ، وربما وجدنا فى بعض المصادر التاريخية حديثاً عن بعض الوقائع التى تم فيها جمع الكتب ، واستحضارها من أماكن عديدة ، ولكننا لا نجد فيها حديثاً عن ترجمةٍ كهذه الترجمة ، ولعل من أشهر الأمثلة لهذه الوقائع ما نجده لدى ابن العبرى فى حديثه عن بطليموس

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة الأستاذ / محمد بدران ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ١٩٧٤/٣ مجلد ٤ جزء ٢ ص ١٨٠ وهو الجزء الثالث عشر .

(٢) انظر د/ إبراهيم مدكور : فى الفكر الإسلامى – القاهرة ط ١٩٨٤/١ ص ٢٣ ، وفى الفلسفة الإسلامية : منهج وتطبيقه ، دار المعارف ط ١٩٧٦ جزء ١٦٢/٢ .

فيلاذلفوس أحد ملوك البطالمة الذين حكموا مصر . ويوصف هذا الحاكم – عنده – بأنه قد « حبب إليه رجال العلم والعلماء ، وسمع أن في السند والهند وفارس وجرجان وبابل وأثور (أشور) فنوناً من الحكمة ، غير التي عند اليونان ،فتقدم إلى وزيره بالاجتهاد في جمع كتب هذه الأمم وتحصيلها ، والمبالغة في أثمانها ، وترغيب التجار في جلبها ، ففعل ذلك، فاجتمع له من ذلك في مدة قريبة أربعة وخمسون ألف كتاب ،ومائة وعشرون كتاباً ، فلما علم الملك باجتماعها ، قال لوزيره : أترى بقي في الدنيا شيء من كتب العلوم لم يكن عندنا ؟ فقال له الوزير : بقي عند اليهود كتب إلهية ....فأمر أن يجدّ في طلبها»[٣]

ولا يتحدث ابن العبري عن ترجمة شيء هذه الكتب المجلوبة من أماكن مختلفة من العالم إلى اللغة اليونانية التي كانت لغة العلم بالإسكندرية آنذاك ، ولا يستثنى من ذلك إلا إشارت في نهاية النص إلى أن الوزير الذي قام بهذا الجهد الكبير في جمع الكتب قد جمع اثنين وسبعين حبراً من أحبار اليهود ، وطلب إليهم أن يترجموا الكتب الإلهية لليهود من العبرية إلى اليونانية ، وتلك – في رأيه– هي الترجمة السبعينية المعتمدة لدى اليهود وكثير من النصارى[٤] ويبدو من سياق القصة أنه لم يقع شيءمن الترجمة إلا لهذا النص العبري ، الذي يحيط

---

(٣)ابن العبرى : غريغوريوس أبوالفرج : تاريخ مختصر الدول ، تصحيح وفهرسة انطون صالحان اليسوعي ،دار الرائد اللبناني ، بيروت ١٩٨٣ص٩٩ وقد سار فيلاذلفوس هذا سيرة أبيه الذي أنشأ معهد العلوم في الإسكندرية ، ولكن ازدهار هذا المعهد لم يتم إلا على يد ابنه الذي جاء الحديث عنه في رواية ابن العبرى ، انظر جورج سارتون: تاريخ العلم بإشراف لجنة من العلماء ، منهم د/ إبراهيم مدكور وآخرون ، وقد ترجم الفصل الثاني منه د/ محمد عواد حسين ،دار المعارف ط ١٩٧٩/٢جـ٤/ ٧٤، ٧٥.

(٤)ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٩٩ ، ١٠٠ .

الشك بترجمته هو نفسه(٥) وليس لنا أن نتوقع أن تمدنا رواية ابن العبرى بمعلومات عن المترجمين من حيث أعدادهم أو المشهورون منهم أو طبيعة ترجماتهم ، أو طرقهم فى الترجمة ، أو نحو ذلك من المسائل التى تتعلق بالترجمة، ولعل السبب الأكبر يعود إلى أن الخبر – فى جملته – يتحدث عن جمع الكتب لا عن ترجمتها ، أما ما جاء فيه من حديث عن الترجمة السبعينية فإنه لا يغير من الأمر شيئاً ، لأنه لا يعدو أن يكون ترجمة لكتاب واحد، من جملة هذه الكتب الكثيرة، التى تم استحضارها ، والتى تزيد على الخمسين ألفاً.

* ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما أشار إليه بعض الباحثين من قلة المعلومات وندرة الوثائق التى تتعلق بهذه الفترة التاريخية التى نتحدث عنها ، حتى إن معرفتنا بها لتُوصَفُ لدى مايرهوف بأنها ضئيلة تافهة ، وبأن ما عُثِر عليه من أوراق البردى فى عشرات السنين الأخيرة لم يأت بشىء ذى بال ، وأن التاريخ العقلى –لهذه الفترة – قد ظل على غموضه المطبق الذى كان عليه من

---

(٥) وقد وُصِفَتْ هذه الترجمة بالاضطراب وعدم الدقة وعدم الشمول ، كما وصفت – لدى بعض الدارسين – بمخالفتها للنص العبرى من حيث الترتيب ، بل من حيث المضمون والمحتوى ، ومن ثم استُبدلت بها ترجمات أخرى . واستنكر بعض اليهود أنفسهم هذه الترجمة السبعينية . انظر د/ فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر د.ت . ص٢٧ هذا ، وليست التوراة السبعينية مرتضاه عند اليهود كلهم ، بل توجد عندهم نسخ أخرى من التوراة ، ثم هى ليست مرتضاة عند النصارى كلهم ،كما يقول ابن العبرى نفسه فى الموضع السابق ، وانظر مثلاً : التوراة للدكتور بدران محمد بدران ، دار الأنصار – القاهرة ط ١/ ١٩٧٩ص ٢٢– ٣١ وقد وضعت الترجمة السبعينية نفسها موضع الشك ، انظر دراسة فى هذا الصدد للدكتورة سلوى ناظم بعنوان : الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة ، مطابع المستقبل ١٩٨٨ ص٣، ١٧ وما بعدها . وانظر كذلك : ديلاسى: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ترجمة د/ تمام حسان ، الانجلو المصرية ١٩٥٧ ص ٥٦ حيث يذكر أنه لا سند فى التاريخ لهذه القصة .

قبل(٦) ومما زاد الأمر سوءاً أن كثيراً من هذه الكتب قد وقعت فريسة للإحراق والدمار الذى تعرضت له مكتبة الأسكندرية قبل الإسلام مرات عديدة ، قبل إغلاقها وهجرة العلماء منها(٧) .

ولا مجال – إذن – للمقارنة بين هذا الذى حدث على يد بطليموس فلاذلفوس وبين الترجمة الإسلامية ، التى كان من مميزاتها الكبرى أنها لم تكتف بجمع تراث الأمم السابقة على الإسلام ، والمحافظة عليه من الضياع والفناء ، مع أن ذلك – فى ذاته – عمل جليل يستحق التقدير والثناء ، بل إنها قامت بنقل هذا التراث من لغاته المختلفة التى كُتب بها إلى اللغة العربية ، ثم أضافت إلى ذلك أنها جعلت هذا التراث أساساً لنهضة علمية واسعة النطاق متعددة الجوانب ، وقد تحلّت فى تعاملها معه بالروح العلمية ، والنظرة النقدية ، ولذلك صححت بعض ما وقع فيه من أخطاء ، واستدركت عليه بعض ما ظهر فيه من نقص ، وأضافت إليه إضافات مهمة ، عبّرت بها عن أصالتها ، وأسهمت بذلك فى صيانة العلم الإنسانى وتقدمه ، على النحو الذى يُقرُّ به الدارسون المنصفون من المسلمين وغيرهم ، ولقد تحلّت فى تعاملها مع هذا التراث بروح الإنصاف والاعتراف بفضل السابقين ، والتماس الأعذار لهم فيما وقعوا فيه من أخطاء ، ذلك فى نصوص بعض الفلاسفة كالكندى والفارابى وابن رشد ، كما ظهر فى كلام بعض ذوى الاختصاص فى العلوم الطبيعية والرياضية كابن الهيثم

(٦) انظر : ماكس ما يرهوف فى بحثه : من الإسكندرية إلى بغداد ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى فى كتاب : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ط٣/ ١٩٦٥ ص٣٨ .

(٧) انظر : ما يرهوف ، ضمن المرجع السابق ٣٧-٤٣ ثم انظر : ا.ج .بتلر : فتح العرب لمصر ، الذى ترجمه الأستاذ محمد فريد أبو حديد ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ ، جـ٢/ ٣٥٣- ٣٦٦ .

وغيره[٨] وسرت هذه الروح المنصفة إلى غيرهم من المؤرخين[٩] .

ب – وإذا كنا لم نجد مثيلاً لهذه الترجمة العربية الإسلامية فيما سبقها من عصور فإن هذا الحكم نفسه ينطبق على أشهر حركات الترجمة التى جاءت بعدها ، وهى الترجمة العكسية من اللغة العربية إلى اللاتينية ، وقد استمرت هذه الترجمة نحو خمسة قرون ، وتمت على مراحل متعاقبة فى صقلية وأسبانيا وشارك فيها مع المسيحيين الأوروبيين عرب ويهود[١٠] وتوصف هذه الترجمة بأنها « من أوسع حركات الترجمة فى تاريخ النهضات»[١١] ويتفق هذا الحكم مع ضخامة حجم هذه الحركة ، واتساع آفاقها ، والمعرفة الكبيرة وبالمواطن التى تمت فيها ، وبكبار الأعلام الذين أسهموا فيها ،وعلى الرغم من ذلك يمكن

---

(٨) انظر مثلاً : رسائل الكندى ، تحقيق د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة ، دار الفكر العربى ط١٩٥٠/١ جـ١٠٢/١، ١٠٣، ٣٦٣، والجمع بين رأيى الحكيمين للفارابى طبع مطبعة السعادة ط١٩٠٧/١ ص١، ٢وتهافت التهافت لابن رشد تحقيق د/سليمان دنيا ، دار المعارف القسم الأول ط٢/ ١٩٦٩ ص٣١٥وكتاب المناظر للحسن بن الهيثم تحقيق د/ عبد الحميد صبرة ، الكويت ١٩٨٢ص٥٩ .

(٩) انظر مثلاً : صاعد الأندلسى : طبقات الأمم وتحقيق حياه بو علوان ، دار الطليعة بيروت ط١/ ١٩٨٥ فى مواطن كثيرة منها ٧٢، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠١ .

(١٠) انظر : بالنثيا : انخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسى ،ترجمة د/ حسين مؤنس ، تصوير مكتبة الثقافة الدينية عن الطبعة الأصلية ١٩٥٥ ص٥٣٦-٥٤٠، ٥٧٣-٥٧٦ود/ توفيق فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية إلى أوربة الوسيطة ،ضمن : أضواء عربية على أوروبا فى القرون الوسطى ، ترجمة د/ عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ط١/ ١٩٨٣ص١٨-٢٣وانظر كذلك: د/ توفيق الطويل ، فى تراثنا العربى الإسلامى طبع الكويت ١٩٨٥ص٧٣، ٧٤، ١٥٤، ١٥٦-١٥٨، ٢٠٩-٢١٧.

(١١)د/ توفيق الطويل : فى تراثنا العربى والإسلامى ، مرجع سابق ص٧٣ .

القول بأنها لا تصل إلى المستوى الذى وصلت إليه الترجمة العربية الإسلامية من حيث اتساع نطاقها ، وتعدد روافدها ، ولعل مما يوضح ذلك ويؤكده أن « روجر بيكون » يشكو من أن كتباً كثيرة فى الرياضيات والفيزياء والمنطق وغيرها غير مترجمة من العربية ،وهى أهم الكتب كما يقول «بيكون» (ت ١٢٩٤م)وفى هذا يقول « إن أعظم أسرار العلوم والصناعات وأسرار الطبيعة لما تترجم بعد » ولا تقتصر الشكوى على كتب العلوم الطبيعية والرياضية ونحوها ؛ بل إن شكواه تمتد إلى علوم الفلسفة أيضاً ، فهو يشكو من أن ابن سينا لم يُتَرجم له إلا القليل ، ثم هو يأسف لأن الشفاء لم يترجم إلا ترجمة جزئية ، وهو يشكو- أخيراً - لأن الناس يجترُّون دوماً نفس الكتب السيئة فى المنطق ، بينما نجد نصوصاً ممتازة غير مترجمة[١٢] ، وليس غريباً - إذن - أن توصف هذه الترجمة لدى بعض كبار دارسى الفلسفة ومؤرخيها بأنها أضيق مجالاً ، وأقل تنوعاً[١٣] .

ويمكن تفسير ذلك بأن القائمين على هذه الترجمة لم يقصدوا - قصداً أولياً - أن ينقلوا جملة التراث الذى كان لدى المسلمين ، والذى ازدهر على أيديهم ، وفى ظل دولتهم قروناً عديدة ، بل لعلهم قصدوا - فى المقام الأول- أن يبحثوا فى ثنايا هذا التراث الضخم عن بعض الروافد الخاصة ، فلم يكن مُهماً لديهم - مثلاً - أن يعرفوا تراث الهند أو تراث فارس ، أو ما أضافه المسلمون فى ظل حضارتهم إلى هذا التراث ، من بعد ، سواء أكان ذلك على أيديهم ، أم كان على أيدى أبناء الديانات والأعراق الأخرى ، التى استظلت بحضارتهم،

---

(١٢)انظر : د/ أمينة رشيد : الحقيقة عند العرب ، فى الكتاب الأكبر لروجه بيكون ،ضمن أضواء عربية على أوربا فى القرون الوسطى بمرجع سابق ص٧١ وقد تمت بعض الترجمات بعد بيكون ، ولكن كلماته تبقى - مع ذلك - ذات دلالة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها .

(١٣) انظر مثلاً : د/ مدكور ... منهج وتطبيقه ، مرجع سابق ١٦٦/٢ .

وأفادت من تلك السماحة الفكرية التى كانت من سماتهم ، أما الذى كان يحرص الأوروبيون على ترجمته ، بصفة أساسية ، فهو التراث اليونانى فى لغته الأصلية أو فى مترجماته السريانية التى تمت له ، ولو أن هؤلاء كانت قد أتيحت لهم فرصة العثور على هذا التراث القديم فى لغته اليونانية الأصلية لاستغنوا به عن الترجمة العربية الإسلامية ، ولاستغنوا -كذلك- عن تلك الشروح والتعليقات والإضافات التى أضافها الفلاسفة الإسلاميون إليها، كما فعلوا – من بعد – عندما هاجر علماء القسطنطينية منها ، عندما فتحها الأتراك العثمانيون بقيادة السلطان محمد الفاتح (١٤٥٣) ، ومعهم كثير من المخطوطات القديمة المتعلقة بالفلسفة اليونانية ، وكانت – فيما يقول المؤرخون – ذات أثر كبير فى النهضة الأوروبية الحديثة ،وخاصة فى مجال الفلسفة ، حيث أصبح من الممكن أن تتم معرفة أصلية ، تأتى من مصدرها الأول ، وتكون متحررة من شروح وحواشى الأفلاطونيين الجدد ، والمعلقين العرب(١٤) وعلى الرغم من إفادة أوروبا فى عصورها الوسطى من التراث العلمى والفلسفى للمسلمين فإنها قد نظرت إلى هذا التراث نظرة مختلفة بعد أن وصلت مباشرة إلى المنابع الإغريقية ، ومن ثم وجدنا من دارسيهم من يقـول « إن الغرب ليس مديناً فى علمه بفلسفة أرسطو إلى العرب إلا من حيث إن عناية العلماء الأوروبيين بكتب أرسطو قد أثارها – أول الأمر – تعرفهم على الفكر العربى(١٥) بل إن الأمر – فيما يصوره بعض الدارسين – قد وصل إلى حد احتقار أوروبا لتلك القناة العربية التى

---

(١٤)انظر : برتراند رسّل : تاريخ الفلسفة الغربية : الفلسفة الحديثة ، ترجمة د/ محمد فتحى الشنيطى ،طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧جـ١٩/٣ويوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة دار المعارف ط٥ ١٩٦٩ص ٥ ، ٦ .

(١٥)الفريد جيوم : الفلسفة والإلهيات ضمن تراث الإسلام ، ترجمة د/ توفيق الطويل ،مكتبة الآداب ١٩٨٣جـ٢٤٠/١.

حملت تراث اليونان إلى أوروبا ، مثل احتقارها للينبوع العربى نفسه ، « وشرعت أوروبا تلقى الحجارة ، وكأنها تلقيها فى بئر صحراوية ملوثة ...»[١٦] .

وهكذا كانت أوروبا تبحث – فى ثنايا التراث العربى الإسلامى – عن جذورها التاريخية ، ومنابعها الثقافية الخاصة بها ، ومن ثم اتجهت إلى تراثها اليونانى ، الذى قبلته بصفة مؤقتة ، إلى أن وجدته – فيما بعد – فى مصادره اليونانية الخالصة، ثم أضافت إلى هذا الجانب جانباً آخر ، يتعلق بالعلوم الطبيعية والرياضية فى هذا التراث ، وربما دفعهم إلى ذلك ما وجدوه فيه من إسهامات وإضافات أبدعتها الحضارة الإسلامية فى مجالات متعددة كالطب والصيدلة والرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها ، على أيدى علمائها الكبار كالكندى والرازى الطبيب وابن سينا وابن الهيثم والبيرونى وأمثالهم من العلماء الذين برزوا فى ظل النهضة الإسلامية ، أما ما عدا ذلك من تراث الأمم الأخرى ، أو من جوانب الحضارة الإسلامية الأخرى ، فلم يكن موضع عناية المترجمين من الأوروبيين ، ولذلك يمكن القول بأن حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية لم تصل فى شمولها واتساع نطاقها إلى نفس المستوى الذى وصلت إليه الترجمة العربية الإسلامية من اللغات الأخرى[١٧] وهو ما يُعَدُّ ميزة من ميزات الثقافة

(١٦)يواكيم مبارك : الإسلام والمسيحية : هل أغنتهما معاركهما ؟ ، ضمن أضواء عربية ... مرجع سابق ص٢١٥، ٢١٦.

(١٧)تتضح جوانب هذا الشمول فى كثير من المصادر التى عنيت بالترجمة ، ويأتى فى طليعتها كتاب الفهرست لابن النديم ، ويمكن الرجوع كذلك إلى طبقات ابن جلجل ، وأخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعةونحو ذلك من المصادر ، ثم انظر للكتب المترجمة من اللغة النبطية خاصة ، الفهرست لابن النديم طبع دار المعرفة لبنان ص٣٤٢وكشف الظنون لحاجى خليفة ، دار العلوم الحديثة لبنان ٢/ ١٤٢٥.

العربية الإسلامية لدى بعض مؤرخى العلم العالميين[18] .

حـ- تحديد المراد بالترجمة :

وينبغى أن نوجه النظر هنا ، قبل أن نتحدث عن بدايات هذه الحركة ، إلى أن مصطلح الترجمة قد استعمل فى بعض المصادر القديمة ، استعمالاً مشوباً بشىء من التسامح أو التوسع فى الدلالة ، ويمكن الاستشهاد لذلك ببعض ما قالته هذه المصادر ، وهى بصدد الحديث عن بعض فلاسفة الإسلام ، ومن ذلك ما قاله ابن جلجل عن الكندى حيث يصفه بقوله « وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ...»[19] ويذكر صاعد الأندلسى مقالة أبى معشر البلخى « حُذّاق الترجمة فى الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندى ، وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن فرخان الطبرى »[20] ويقول القفطى عن الكندى إنه نقل كتاباً فى الجغرافيا لبطليموس إلى العربية نقلاً جيداً[21] ويصفه ابن أبى أصيبعة بأنه من حذاق التراجمة[22] وقد رأى

---

(١٨)انظر مثلاً :جوج سارتون ، فى مقال له بعنوان : العلم الإسلامى : ضمن كتاب بالشرق الأدنى : مجتمعه وثقافته ، ترجمة د/ عبد الرحمن أيوب ،سلسلة الألف كتاب - د.ت .ص١٤٤، ١٤٥وانظر كذلك ، لصاحب هذا البحث : فى الفكر الفلسفى الإسلامى : مقدمات وقضايا ،دار الثقافة العربية ط١٩٩٣ص٧٨-٨٠. ثم انظر أسبابا أخرى لأهمية الترجمة العربية الإسلامية ، فى المرجع نفسه:ص٦١-٦٣.

(١٩): ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء تحقيق الأستاذ/ فؤاد سيد،مؤسسة الرسالة ط١٩٨٥/٢ص٧٣.

(٢٠)طبقات الأمم : تحقيق حياة بو علوان ، دار الطليعة - بيروت ١٩٨٥ص١٠٢وليس هناك خلاف على أن من سوى الكندى يعدون من التراجمة ، لكن الخلاف وارد فيما يتعلق بالكندى .

(٢١)أخبار العلماء بأخبار الحكماء تصوير مكتبة المتنبى - القاهرة ص٦٩، ٧٠ .

(٢٢)عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، نشرة د/ نزار رضا ، مكتبة الحياة بيروت - د.ت ص٢٨٦.

بعض الدارسين للكندى أن مصطلح الترجمة فى هذه النصوص قد جاء بمعنى واسع ، يُقْصد به عرض الآراء الفلسفية أو غيرها باللغة العربية ، أو أنه يراد به إصلاح التراجم التى كان يقوم بها – فى بعض الأحيان – مترجمون لا يجيدون عرض ما يترجمونه فى لغة عربية سليمة واضحة ، ويرى هؤلاء أنه ربما كان الكندى يعرف اليونانية أو السريانية ولكنه لم يقم بالترجمة منها بنفسه ، ومن لم توصف نصوص هذه المصادر القديمة بأنها ليست حاسمة فى الدلالة على اشتغاله بالترجمة ، بل يذهب بعضهم إلى أنها ليست حاسمة فى دلالتها على معرفته باللغات الأجنبية(٢٣) وينطبق مثل ذلك على ابن رشد الذى قيل عنه إنه كان يعرف اليونانية ،وأنه ترجم بعض كتب أرسطو عنها مباشرة ، على حين أن مراجعة كتبه تدل على أنه قد عرف هذه الكتب من الترجمات التى تمت من قبل لكتب أرسطو(٢٤) ويرجع هذا الاختلاف فى الرأى – فى جانب كبير منه – إلى عدم الاتفاق على دلالة هذا المصطلح ، وعدم تحديده تحديداً دقيقاً ، يدفع

---

(٢٣)انظر مثلاً : د/ أبو ريدة : فى مقدمته لتحقيق رسائل الكندى الفلسفية ص٩وص١٧٣من الجزء الأول ، ومايرهوف : من الأسكندرية إلى بغداد ، ضمن التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ٥٩، ٦٠، د/ عبد الرحمن بدوى : دور العـــرب فى تكوين الفكر الأوروبى ، الأنجلو المصـــرية ط٢/ ١٩٦٧ص١٧٤– ١٨٨ود/ أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ، ضمن سلسلة أعلام العرب د.ت ص٦٣ود/ جعفر آل ياسين : فيلسوفان رائدان ، دار الأندلس ط١/ ١٩٨٠ص٢٣ ،ويرى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن الكندى تعلم اليونانية وترجم بها وأنه ربما كان عارف بالسريانية انظر : فيلسوف العرب والمعلم الثانى دار إحياء الكتب العربية ط١/ ١٩٤٥ص٢١، ٢٢.

(٢٤)انظر :ارنست رينان : ابن رشد والرشدية ترجمة عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ط١٩٥٧/٢ص٦٤–٦٨ ، وجيوم : الفلسفة والإلهيات ، ضمن تراث الإسلام، مرجع سابق ٢٤١/١ .

عنه الغموض والاشتباه ، ويبعده عن أن يدخل فيه ، أو يندرج تحته ما ليس منه ، ولئن كان هذا الغموض ما زال قائماً بشأن الكندى الذى توفى بعد ما يزيد على قرن من قيام الدولة العباسية ، بل لئن كان ما يزال قائماً بالنسبة لابن رشد الذى توفى فى أواخر القرن السادس الهجرى فإن لنا أن نتوقع أن يكون هناك مزيد من الغموض بشأن الدولة الأموية وما قبلها ؛ لأن مرحلة البدايات والنشأة تفتقد – فى العادة – إلى كثير من الوضوح والدقة ، التى تُكْتَسب – بالتدريج – فيما يعقبها من مراحل وخطوات .

وليس بلازم – فى كل الأحوال – أن يكون الوصول ، من أول الأمر ، إلى هذا التحديد عن طريق التعريف بالحد أو الرسم على طريقة المناطقة ، وإن كان ذلك أقرب إلى الدقة ، بل يمكن التوصل إلى ذلك عن طريق الاستبعاد أو الإخراج لما لا ينبغى أن يدخل فى نطاق الشىء المراد تعريفه .

وبناء على هذه الطريقة فى التعريف نقول إن مجرد العلم باللغات الأجنبية وما تتضمنه من معارف وعلوم ليس نوعاً من الترجمة ، ولا داخلاً فى نطاقها ، ولكنه وسيلة لابد منها للقيام بالترجمة . والاكتفاءُ بمجرد العلم لا يدخل صاحبه فى عِداد المترجمين ، مهما بلغت درجة إتقانه للغات الأجنبية ، وإلمامه بعلومها ، وقد وُجد فى تراثنا القديم ، حتى منذ عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام ، من اتصل باللغات الأجنبية ،ولكن لا يصح وضعهم بين المترجمين .

وممن ينطبق عليه ذلك من المخضرمين : النضر بن الحارث بن كلدة ، وهو ابن خالة النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان قد ظل على شركه ، بل كان شديد العداوة للنبى ودينه ، ويوصَف النضر هذا بأنه قد سافر إلى كثير من البلاد « واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الأحبار والكهنة ، واشتغل وحصّل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر ، واطلع على علوم

الفلسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه أيضاً ما كان يعلمه من الطب وغيره»(٢٥) ويتضمن هذا الخبر – على فرض صحته – إشارة مبكرة إلى علاقة العرب بالفلسفة وعلومها ، حيث ترجع – بحسب هذه الرواية – إلى عصر الجاهلية وأوائل عهد الإسلام ، ولكن إجادة النضر لهذه العلوم ليست ترجمة ، وهو لا يعد – بسببها – من المترجمين ؛ لأنه لم يقم بعمل ينطبق عليه وصف الترجمة ، وهو النقل للعلم والمعرفة من لغة إلى لغة أخرى ، وليس فى المصادر إشارة إلى ذلك ، وليس فيما تحت أيدينا من كتب التراث ما يدل عليه ، وكم من الناس فى القديم والحديث من يجيدون لغات أخرى غير لغاتهم ، لكنهم لا يُعَدّون بذلك من المترجمين ؛ لأنهم لم يقوموا بشىء يحسب فى عداد الترجمات ، بل إنهم فى بعض الأحيان قد يتركون الكتابة بلغاتهم الأصلية ليكتبوا باللغات الأخرى ، ليكون فى ذلك إثراء لها على حساب لغاتهم الأصلية .

وينطبق ذلك – أيضاً – على ما جاء فى بعض كتب السنة من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه ومنهم زيد بن ثابت أن يتعلموا بعض اللغات الأجنبية كالسريانية أو العبرانية ؛ وذلك ليعلم الرسول مضمون ما يرد إليه من الرسائل بهاتين اللغتين ، وليتمكن من الرد على أصحابهما ، وقد جاء فى بعض الروايات أن الرسول أمر زيداً بتعلم العبرية ؛ لأنه لا يأمن اليهود على كتابه(٢٦)

---

(٢٥)ابن أبى أصيبعة ص١٦٧ وانظر ما بعدها إلى ١٧٠ .

(٢٦)ارجع إلى مسند الإمام أحمد ، طبع المكتب الإسلامى – بيروت ط١٩٨٣/٤جـ١٨٢/٥ ، ١٨٦ وتذكرة الحفاظ للذهبى ، دار الفكر العربى د.ت ٣١/١ وانظر للأستاذ أحمد أمين : فجر الإسلام ، النهضة المصرية ط٥ /١٩٦٥ ص١٧٥ ومن الواضح أن مثل هذا العمل يدخل فى نطاق الأعمال الإدارية ، وليس له صلة بالترجمة بمعناها الاصطلاحى

* وإذا كان هذان المثالان لا يدخلان فى نطاق الترجمة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ؛ فإنه ينبغى أن يخرج من نطاق الترجمة بهذا المعنى الدقيق ، كل الأعمال المعاونة أو المساعدة التى تتعلق بها ، وذلك كإصلاح التراجم ، وتقويم عبارتها، وتدقيق صياغتها ، على نحو ما نسب إلى الكندى وحنين بن إسحاق وغيرهما ، وكتفسير نصوص المترجمات إذا كان هذا التفسير باللغة التى تمت الترجمة إليها كالعربية مثلاً ، أما إذا كان التفسير لها بلغتها الأصلية كاليونانية أو بلغة وسيطة كالسريانية،ثم تمت ترجمة هذا التفسير فيما بعد إلى العربية فإنه يحسب عندئذ من أعمال الترجمة . كذلك ينبغى أن يخرج من نطاق الترجمة ما كان يقوم به المترجمون أنفسهم من تأليف بعض الكتب أو الرسائل بالعربية ، ويظهر هذا فى أعمال كبار المترجمين كحنين بن إسحاق ، وإسحاق ابنه ، وثابت بن قرة ، وحبيش بن الأعسم ، فهؤلاء قد قاموا بأعمال كثيرة متصلة بالترجمة، فقد يترجمون من لغة إلى لغة ، وقد يصلحون ما يترجمون ، أو ما يترجمه غيرهم ، وقد يكتبون كتباً بالعربية ، وهذه الأخيرة لا تدخل فى نطاق الترجمة حتى وإن قام بها مترجمون(٢٧) .

وإذا كنا قد أخرجنا من الترجمة بمعناها الدقيق هذه الأعمال ذات الصلة الوثيقة بها فإنه ينبغى أن يخرج منها ما ليس وثيق الصلة بها وذلك كتعريب الدواوين ، الذى وقع فى عهد الدولة الأموية ، وقد تم تعريب ديوان الشام فى عهد عبد الملك بن مروان(٢٨) أو فى خلافة هشام بن عبد الملك(٢٩) أو فى

(٢٧)انظر نماذج لذلك فى : أخبار القفطى ٨١-٨٤، ١١٨- ١٢٠، ١٢٢، ١٣٣، ١٦٣، ١٧٣ومواطن أخرى .

(٢٨)انظر :الأوائل لأبى هلال العسكرى ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، دار نشر الثقافة ١٩٦٦ص٢٠٧.

(٢٩)الفهرست لابن النديم ،طبع دار المعرفة - بيروت ص٣٣٨، ٣٣٩ وخطط المقريزى تصوير دار صادر - بيروت جـ١/ ٩٨ والكامل لابن الأثير ، دار صادر - بيروت ٥٢٢/٤.

خلافة الوليد بن عبد الملك[٣٠] أما ديوان العراق فقد تم تعريبه من الفارسية إلى العربية فى عهد عبد الملك على يد الحجاج بن يوسف[٣١] وقد جاء تعريب ديوان مصر من القبطية إلى العربية فى عهد عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين[٣٢] ولاشك أن مثل هذا العمل كان شديد الأهمية من حيث استكمال أحد عناصر السيادة المهمة للدولة الإسلامية ، ثم من حيث تحقيق الاستقلال لشخصيتها ، وتخلصها من مظهر من مظاهر التبعية لغيرها ، ولكنه يبقى-مع ذلك- محصوراً فى حدود هذا النطاق السياسى والإدارى،بعيداً عن الترجمة بمعناها الاصطلاحى[٣٢/] ،وما ترتب عليها من آثار فى مجال العلم والفلسفة والثقافة الإسلامية على وجه العموم

ويبقى أن نشير إلى صورة أخرى لنتبين مدى علاقتها بالترجمة ، وأعنى بها ما حدثتنا به بعض كتب السنة النبوية عن بعض أهل الكتاب الذين كانوا « يقرأون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام...»[٣٣] وكان ذلك يتم على يد بعض أهل الكتاب من الذين دخلوا فى الإسلام مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما ، وقد تسربت أقوال هؤلاء إلى بعض كتب التفسير ، وعُرفت باسم الإسرائيليات التى تصدى العلماء لنقدها وتمحيصها[٣٤] ويمكن

(٣٠) انظر س. ا.ق حسينى : الإدارة العربية ،ترجمة د/ إبراهيم العدوى ،نشر مكتبة الآداب ١٩٥٨ص١٨١-١٨٣.

(٣١)الأوائل والفهرست فى الموضعين السابقين .

(٣٢)انظر الخطط فى الموضع السابق .

(٣٢/)قارن : د/ رشيد الجميلى : حركة الترجمة والنقل فى المشرق الإسلامى فى القرنين الأول والثانى الهجرى.نشر جامعة قاريونس ليبيا . د. ت ص ٥٣ .

(٣٣)صحيح البخارى : طبع ستانبول ١٩٨١، كتاب الاعتصام بالسنة باب قول النبى : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ١٦٠/٨، وكتاب التوحيد باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ٢١٣/٨.

(٣٤)انظر مقدمة ابن خلدون ،طبعة الشعب ، ص٤٥٤.

القول بأن مثل هذه التفسيرات تعد صورة من صور نقل المعانى من لغة إلى لغة ، ولكنها كانت أقرب فى طبيعتها إلى الرواية الشفهية ، وقد جاءت على هيئة أقوال متناثرة غير مدونة ولا منظمة ، يضاف إلى ذلك أن الذين قاموا بهذه التفسيرات كانوا – فى جملتهم – من عوام أهل الكتاب ، بحسب رأى ابن خلدون الذى يقول « وأهل التوراة الذين بين العرب – يومئذ – بادية مثلهم ، ولايعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ...ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك(٣٥) وهذا كله يباعد بين هذه الإسرائيليات وبين الترجمة .

ونخلص مما سبق إلى أن الترجمة بمعناها الدقيق تختص بنقل العلوم والمعارف من لغة إلى لغة(٣٦) ، وفيما يتعلق بثقافتنا العربية الإسلامية ينطبق هذا

(٣٥)مقدمة ابن خلدون : الموضع السابق نفسه .

(٣٦)وقد أشرنا قبل سطور إلى أن ذلك ينبغى أن يكون فى لغة مكتوبة ليمكن دراسته وتقويمه وتتبع آثاره فى البيئة الجديدة التى نقل إليها ،ويرى بعض الباحثين أن الترجمة تطلق على المصنفات التى ترجمت مباشرة من لغتها الأصلية إلى لغة ثانية ، أما إذا كانت الترجمة قد تمت عن طريق لغة وسيطة فإنها عندئذ تسمى النقل. د/ رشيد الجميلى : حركة الترجمة والنقل فى المشرق الإسلامى مرجع سابق ص٩وهذا نوع من التحقيق والتوسع ،والتخصيص دون مخصص ، إذ هما يستخدمان فى اللغة على سبيل التبادل ، يقال : نقل الشىء نقلاً :حوّله من موضع إلى موضع ، ونقل الكتاب نَسَخه ، ونَقَل الكتاب إلى لغة كذا ترجمه بها،انظر المعجم الوسيط ، طبع مجمع اللغة العربية – مصر ،مادة نقل ، وهما يستخدمان كذلك على سبيل التبادل فى كتب القدامى ، انظر مثلاً :الفهرست لابن النديم حيث يتكلم عن أسماء النَّقلة من اللغات إلى اللسان العربى ص٣٤٠– ٣٤٢، وانظر مثلاً حديث القفطى عن حنين بن إسحاق حيث يقول عنه « وقعد فى جملة المترجمين لكتب الحكمة واستخراجها إلى السريانى والعربى ... واختير للترجمة واؤتمن عليها ... وكان جليلاً فى ترجمته ... وله من الكتب التى ألفها سوى ما نقله من كتب الحكماء ... وكان فى حبسه ينقل ويفسر ويصنف » إلخ أخبار العلماء بأخبارالحكماء ص١١٧–١٢١وانظر كذلك عيون الأنباء ص٢٥٩، ٢٧٤ ، ٣٢٢،٢٧٩ ومواضع أخرى حيث يستخدم لفظ النقل بمعنى الترجمة .

التعريف على تلك الحركة الكبرى التى تمت فيها ترجمة تراث الأمم السابقة على الإسلام إلى اللغة العربية .

د- ويدلنا تاريخ هذه الحركة الكبرى على أنها لم تتم دفعة واحدة ، كما أنها لم يتم إنجازها فى عدد قليل من السنوات ، بل إنها استغرقت بضعة قرون ، مرت فيها بعدة مراحل ، يختلف الدارسون - بعض الاختلاف - فى تحديدها :

فأوليرى - مثلاً - يقسمها إلى مرحلتين : تبدأ أولاهما باستيلاء العباسيين على الخلافة ، وتستمر إلى بدء خلافة المأمون ، أى أنها تستمر من ١٣٢ إلى سنة ١٩٨هـ، أما المرحلة الثانية فإنها تشمل حكم المأمون وخلفائه المباشرين ، حيث تَركَّز عمل الترجمة فى مدرسة أُسِّستْ حديثاً فى بغداد(٣٧) .

ويذهب سانتلانا فى محاضراته التى ألقاها بالجامعة المصرية إلى تقسيمها إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول : من المنصور إلى وفاة الرشيد أى من ١٣٦ إلى ١٩٣هـ.

الدور الثانى : من ولاية المأمون ١٩٨هـ إلى ٣٠٠هـ.

الدور الثالث : من سنة ٣٠٠ إلى منتصف القرن الرابع للهجرة(٣٨) .

---

(٣٧)انظر : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، ترجمة د/ تمام حسان ، الأنجلو المصرية ١٩٥٧ص١٢٠ ،وانظر ٢٣٣وما بعدها ، وقد تبنى بعض المفكرين العرب هذا التقسيم ، انظر مثلاً :إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ، دار الكاتب العربى بيروت ، د.ت ص٣١، ٣٩.

(٣٨)انظر : سانتلانا : المذاهب اليونانية الفلسفية فى العالم الإسلامى طُبع بإشراف د/ محمد جلال شرف ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط١٩٨١/١ص١٦٨، ١٦٩ ،وقد تبنى هذا التقسيم بعض المفكرين والدارسين . انظر =

ويتفق التقسيمان - كلاهما - على إغفال الفترة السابقة على قيام الدولة العباسية ، وقد يقع ذلك بطريقة ضمنية أو غير متعمدة(٣٩) وقد يقع بطريقة صريحة ، وممن ذهب إلى ذلك الأستاذ / إسماعيل مظهر الذى يقول « وكانت سنة ٧٤٠ أى سنة ١٣٣ للهجرة بدء عهد جديد فى تاريخ العربية ؛ إذ أخذ أبناؤها يبدون حظاً غير قليل من الاشتراك فى تلقى الفلسفة والعلم ، وبدأت التراجم والتعليقات تظهر فى اللغة العربية »(٤٠) .

ويعلل بعض الباحثين لذلك بأن عهد الدولة الأموية لم يكن عصر نقل أو ترجمة ؛ لأن مشكلات الحياة السياسية فى العصر الأموى عطّلت تطور الحياة

= مثلاً: الأستاذ أحمد أمين : ضحى الإسلام ،النهضة المصرية، ط١٠ جـ١/٢٦٣-٢٦٥ وهو يشير صراحة إلى تقسيم سانتلانا ، انظرها ص٢٦٥ وإن كان الأستاذ أحمد أمين قد أشار فى مواطن عديدة إلى الترجمة فى عصر الدولة الأموية ، وإن تكن إشارات موجزة تنصب فى معظمها على خالد بن يزيد انظر مثلاً : ضحى الإسلام ص٢٦٢، ثم انظر فجر الإسلام ، ص١٣٣ ، ١٦٣ ،١٦٤، ١٦٨ ويشير الدكتور توفيق الطويل إلى هذا التقسيم أيضاً انظر فى تراثنا الإسلامى ص٨٦ ،وهو يشير -كذلك -إشارة موجزة إلى الدولة الأموية ص٧١، ٧٦من المرجع نفسه،وانظر صوراً أخرى للتقسيم لدى د/ رشيد الجميلى ، حركة الترجمة والنقل ... ص١٦، ١٧ .

(٣٩) انظر مثلاً : د/ جورج قنواتى : المسيحية والحضارة العربية ، طبع المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت د.ت ص٩٩ وما بعدها ، حيث يتحدث عن التعريب إبّان الخلافة العباسية ، وإسهام العلماء المسيحيين فيه ، وقد أشار من قبل إلى بعض الذين ظهروا منهم إبّان الخلافة الأموية ، ولكنه كان معنياً بإبراز جهودهم فى مجال الطب أو فى مجال الجدل الدينى مع المسلمين ، لا فى مجال الترجمة . انظر ٩٦-٩٨ .

(٤٠) مظهر : تاريخ الفكر العربى ص٣١ . ويرى ديبور أن المسلمين شرعوا فى نقل كتب العلم اليونانية منذ عهد المنصور ، انظر : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة ،مكتبة النهضة المصرية ط٥ ص٩، ١٠، ١٦، ٣٥ .

العلمية ، وعلى الأخص حركة نقل التراث الأجنبي(٤١) .

ويمكن القول بأن مشكلات الحياة السياسية في الدولة العباسية كانت أشد مما كانت عليه في الدولة الأموية ، وقد واجه المنصور محناً شديدة كان من أهمها تمرد أبي مسلم الخراساني ، وخروج بعض المتمردين، ومنهم عمه عبد الله بن علي ومحمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم ، وقد قاتل الراوندية ، والجيوش الخراسانية ، وقبائل القفجاق الذين قتلوا أمماً واستباحوا ممالك، وقاتل -كذلك الذين خرجوا عليه من الإباضية في الشمال الأفريقي، ثم قاتل -مع هذا كله - جيوش الروم ، وغزا الديلم(٤١/) ولم يمنعه ذلك من أن يكون له دور بارز في حركة الترجمة ، وقد واجه هارون الرشيد نفوذ البرامكه وقضى عليهم ، كما واجه مشكلات داخلية وخارجية ، ومع ذلك واصل ما بدأه المنصور من قبلُ من تشجيع للترجمة والقائمين عليها .وقد وصل الأمر إلى حد القتال على الخلافة بين الأمين والمأمون ، وانتهت الحرب بينهما بقتل أولهما على يد جيوش أخيه وضُعُفَ منصب الخلافة نفسه ضعفاً بيّناً لأسباب عديدة تناولتها المصادر التي تؤرخ لهذه الفترة ، وقد كان من أهمها ظهورعناصر وقوى جديدة فرضت سلطانها على الخلافة كالاتراك والبويهيين والسامانيين وغيرهم ، وتحول منصب الخلافة إلى منصب روحي ليس لصاحبه من الأمر في تسيير شئون الدولة شيء ذوبال ، ولم يكن غريباً - في ظل هذا الضعف - أن يُعْزَلَ الخلفاءُ وأن تُسْمَلَ عيونهم، وأن يقتلوا ، ولكن الترجمة واصلت مسيرتها حتى

---

(٤١)انظر : د/ محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٧٦ص٦٠.

(٤١/)انظر-مثلا-: دول الإسلام لشمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي تحقيق الأستاذين : فهيم شلتوت ، ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ جـ١/٩٣-١٠٣.

اكتملت فى أواسط القرن الرابع الهجرى أو عند نهايته ، على الرغم من هذه المشكلات السياسية التى واجهت الدولة العباسية ، فلماذا يُنْظَر إلى مثل هذه المشكلات على أنها كانت مُعَطِّلة للنشاط العلمى أو للترجمة فى عهد الدولة الأموية وحدها ؟ وينبغى - إذن - أن نعيد البحث فى تاريخ الفترة السابقة على الدولة العباسية لاسيما فترة الدولة الأموية ، لنرى مدى صلتها بحركة الترجمة ، ولنحدد -ولو بصورة تقريبية -مبلغ مشاركتها فيها ، مدفوعين إلى ذلك بالرغبة فى كشف ما يحيط بهذه الفترة من ضباب وغموض ، مع أنها تمثل - من الناحية التاريخية - فترة التأسيس والتمهيد، ثم إنها - فى الوقت نفسه - هى الفترة التى واجهت صعوبات البداية ومشكلاتها على النحو الذى نرجو أن يتيسر لنا إبرازه فيمايلى من صفحات هذا البحث بمشيئة الله تعالى . وسنتناول ذلك -كما وعدنا من قبل - فى مبحثين : أولهما عن عصر صدر الإسلام، وثانيهما عن عصر الدولة الأموية.

المبحث الثاني

الترجمة في عصر صدر الإسلام

يبدأ هذا العصر ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم ،وينتهى بقيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبى سفيان فى السنة الأربعين للهجرة .

ويدلنا النظر فى تاريخ هذه الفترة – من الناحية الثقافية ، التى هى موضع عناية هذا البحث –على عدم وجود ترجمات بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وتكاد تكون هذه النتيجة معروفة سلفاً ،ولذلك اتجهنا إلى محاولة تفسيرها ، والبحث عن الأسباب التى أدت إليها ، فى ضوء الظروف التى كان يخضع لها المجتمع الإسلامى فى هذه الفترة ، التى شهدت تأسيس الدولة الإسلامية فى المدينة، ثم شهدت عصر انطلاق الفتوح الكبرى خارج شبه الجزيرة العربية ، منذ عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ولعل أول ما يرد على الذهن من هذه الأسباب أنه ربما كان لبعض النصوص التى تتعلق بالنهى عن النظر فى كتب أهل الكتاب الأثرُ الأكبرُ فى الوصول إلى مثل هذه النتيجة ، ومن هذه النصوص ما رواه أبو هريرة من أن أهل الكتاب كانوا « يقرأون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ...الآية »[٤٢] . وأَصْرَحُ من ذلك ما رُوِى

---

(٤٢)صحيح البخارى ٨/١٦٠،٢١٣ وقد سبق تخريج الحديث تفصيلاً فيما سبق ص١٩ ، وما ورد فى نهاية الحديث هو جزء من الآية ٤٦من سورة العنكبوت ، وانظر تعليق ابن خدون على هذا الحديث وما ترتب عليه من آثار تتعلق بعدم الإقبال على النظر فى كتب أهل الكتاب ، وعلوم الملل بسبب مباينة الشريعة الإسلامية لها ، المقدمة طبعة الشعب : ٤٠١وانظر كذلك ٤٥٣.

من غضب الرسول صلى الله عليه وسلم حين رأى مع عمر صحيفة فيها شيء من التوراة ، وقال : « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي »(٤٣) .

وليس غريباً أن تأتي أقوال بعض الصحابة مرددة لهذا الموقف نفسه ، ومنها أن ابن عباس قال : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ،وكتابكم الذي أنزل على رسول الله أحدث ، تقرأونه محضاً ، لم يُشَب ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه ،وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟! لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم »(٤٤)

ويدلنا النظر في هذا الكلام لابن عباس على وجود عدد من الأسباب التي دعت إلى النهي عن النظر في كتب أهل الكتاب . ومن أهم هذه الأسباب أن القرآن الكريم قد جاء تاليا لهذه الكتب ومهيمنا عليها ؛ لاسيما وهو محفوظ من التحريف والتبديل الذي تعرضت له الكتب السابقة،على يدى بعض أتباعها ، ممن كتبوا الكتاب بأيديهم ثم نسبوه إلى الله تعالى ، ومن واجب المؤمن بالقرآن الكريم – إذن – أن يستغني به عما سواه من كتب الأديان الأخرى ، وليس في الأمـر

---

(٤٣)ارجع إلى فتح البارى لابن حجر ، طبع دار المعرفة – بيروت ٥٢٥/١٣ثم ارجع إلى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلى بن أبى بكر الهيثمى ، دار الكتاب العربى – لبنان ١٧٣/١ ، ١٧٤ وقد ذكر ابن حجر والهيثمى أن فى أسانيد الروايات الواردة فى هذه المسألة ضعفاء أو مجهولين أو متهمين مما يدعو إلى التوقف فى قبول هذا القول بهذه الأسانيد .

(٤٤)صحيح البخارى : كتاب الاعتصام بالسنة ، باب قول النبى لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ١٦/٨ وانظر أقوالاً أخرى لبعض الصحابة كابن مسعود وعمران بن حصين فى : صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام لجلال الدين السيوطى ، تحقيق د/ على النشار ، د/ إسعاد عبد الرازق . طبع مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠ ٨٤،٨٣،٧٢،٧١/١.

استعلاء ولا تكبر ؛ بل إنه نوع من المعاملة بالمثل ، لأن أهل هذه الكتب لا يأتون إلى المسلمين ليسألوهم – سؤال تعلم – عما ورد فى القرآن مما تضمنته كتبهم ، فإذا كان ذلك هو موقف أهل هذه الكتب ، على ما وُصِفَتْ به من تحريف فإن المؤمنين بالكتاب الخاتم المعصوم أولى بذلك منهم .

ولعل فهم النصوص الواردة فى هذا الشأن على هذا النحو يبين لنا أن النهى عن النظر فى كتب أهل الكتاب لم يكن نهياً عاماً مطلقاً ، يحظر كل علم بها ، ويقف فى وجه كل اطلاع عليها ، ولكنه كان نهياً خاصاً يتعلق بأمور العقيدة، التى نهج القرآن فيها نهجاً يختلف عما استقرت عليه العقيدة عند أهل الكتاب. وقد تضمن القرآن الكريم عدداً كبيراً من الآيات التى يجادل فيها أهل الكتاب ، مبيناً ما وقع فى عقائدهم من التحريف والتبديل ،ومن الطبيعى –إذن – أن يكون الإسلام حريصاً على عقيدة المؤمنين به من أن ينالها شىء من الارتباك أو الاضطراب ، بسبب النظر فى كتب أهل العقائد الأخرى المخالفة لعقيدته ويشبه أن يكون هذا النهى نهياً مؤقتاً ، يرتبط بظروف تأسيس اليقين بهذه العقيدة فى نفوس أصحابها ، فإذا تحقق ذلك اليقين ، ورسخ فى القلوب ، فليس هناك مانع من النظر والاطلاع على كتب أهل الكتاب ، بشرط أن يكون القائم بذلك من أهل العلم والدراية بالإسلام وأحكامه .

ونحن نستدل لهذا الفهم بما وقع من بعض الصحابة أنفسهم ، فقد وُصِف عبد الله بن عمرو بن العاص بأنه كان فاضلاً عالماً ،قرأ القرآن والكتب المتقدمة(٤٥) ثم وجدنا من الصحابة من يقبل بعض أقوال أهل الكتاب فى بعض المسائل التى لا تعلق لها بالأحكام الشرعية ، التى كان المسلمون يحتاطون لها كما يقول ابن خلدون ،وذلك كالحديث عن بدء الخليقة وأسرار الوجود ،

(٤٥) عز الدين بن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق وتعليق د/ محمد إبراهيم البنا وآخرين ، طبعة الشعب ، القاهرة ٣٤٩/٣ .

ونحو ذلك من المسائل(٤٦) فإذا كان الأمر مما يرجع إلى الخبرة الإنسانية العامة ، بعيداً عن مقررات الشريعة وأحكامها ، فإنه لا حرج على المسلم أن يعرفه وأن يتعلمه ويفيد منه ، مُحْكِماً في قبوله أو في رفضه إلى حكم العقل وإرشاده ،وإلى ثمرة هذا العلم ونتائجه .

ويدل على هذا الفهم ويصححه – من الناحية الشرعية – أدلة كثيرة ، منها قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، حيثما وجدها فهو أحق بها »(٤٧) ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم استأجر عند الهجرة إلى المدينة عبد الله بن أريقط ،وكان – عندئذٍ– على الشرك، لأنه كان أمينا ، خبيراً بالطريق ودروبه ومسالكه ،ولم يمنعه من استئجاره أنه كان مشركا(٤٨) ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتداوى من المرض وقال: ماأنزل الله داءً إلا أنزل معه شفاء(٤٩) وقد كان بعض الأطباء فى وقته من المشركين الذين لم يدخلوا فى الإسلام ، كالحارث بن كلدة ، الذى

(٤٦) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٤ وقد كان هذا القبول سببا فى وجود ظاهرة الإسرائيليات فى كتب التفسير بالمنقول كما سبق القول .

(٤٧) رواه ابن ماجة فى سننه : طبعة الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ، كتاب الزهد ، باب الحكمة ١٣٩٥/٢ ورقم الحديث ٤١٦٩ وقد ورد بنحوه فى سنن الترمذى ، طبعة الأستاذ عبدالرحمن عثمان ، دار الفكر – بيروت : أبواب العلم ١٥٥/٤ ورقم الحديث ٢٨٢٨ .

(٤٨) انظر : صحيح البخارى : كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة : ٢٥٦/٤وقد وُصف فى الحديث بأنه كان ماهراً خرِّيتا «والخرِّيت الماهر بالهداية .. وهو على دين كفار قريش ، فأَمِنَاهُ (أى الرسول وأبو بكر) فدفعا إليه راحلتيهما » .

(٤٩) صحيح البخارى : كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ١١/٧، ١٢وارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووى طبعة الشعب : كتاب السلام ، باب لكل داء دواء واستحباب التداوى ٥١/٥ وصحيح الترمذى :كتاب أبواب الطب ، باب ما جاء فى الدواء والحث عليه ٢٥٨/٣ ومسند أحمد ٢٧٨/٤ .

وردت بعض الروايات التى تحدثت عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتداوى لديه ، وقد ذكر القفطى بعض هذه الروايات ، ثم أورد تعليق بعض العلماء عليها بقوله « فيدل أنه جائز أن يشاور أهل الكفر فى الطب إذ كان من أهله »(٥٠) ولقد كان أكثر هؤلاء الأطباء من النصارى ، سواء فى ذلك ما يتعلق بعصر صدر الإسلام ، أو عهد الدولة الأموية أو العباسية ، ولا بأس -إذن- من التداوى على يد هؤلاء . وقد اتخذ بعض الخلفاء والأمراء فى الدولتين الأموية والعباسية أطباء لهم من النصارى ، ويرد ذلك - على سبيل المثال- فى تراجم معاوية والحجاج بن يوسف ، وعمر بن عبد العزيز والمنصور والرشيد وغيرهم(٥١) .

وهكذا لا يكون اختلاف الدين مانعاً للمسلم من قبول الحق ممن جاء به أو من طلب العلم ممن يوجد لديه ، ما دام ذلك لا يعارض دينه ، الذى يجب أن يكون شديد الحرص عليه ،وقد وجدنا من الصحابة - رضى الله عنهم - من يذكر ذلك بكل وضوح ،وقد « كان معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول فى كلامه المشهور عنه ، الذى رواه أبوداود فى سننه : اقبلوا الحق من كل من جاء به ، وإن كان كافراً ، أو قال : فاجراً ،واحذروا زيغة الحكيم ، قالوا :كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال : إن على الحق نوراً »(٥٢) ، وكذلك على بن أبى طالب ، الذى قال ، فى كلام له : « العلم ضالة المؤمن ، فخذوه ولو من أيدى المشركين ، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه »(٥٣) .

---

(٥٠) انظر : القفطى : أخبار ... ١١١ - ١١٣ .

(٥١) انظر : الفهرست ٤١٣ وطبقات الأمم ٢٠٢ ، ٢٠٣ والقفطى ٧٤ ، ٧٦ ، ١٦٤، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ومواطن أخرى ، وابن أبى أصيبعة ١٧١ .

(٥٢) فتاوى ابن تيمية طبع الرياض ١٠١/٥ ، ١٠٢ وارجع إلى سنن أبى داود ٢٠٢/٤ وانظر جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبدالبر ، إدارة الطباعة المنيرية ، د. ت ١١١/٢ .

(٥٣) جامع بيان العلم وفضله ١٠١/١ .

ويجرى ابن تيمية على هذا النهج نفسه فى تقديمه لرأى معاذ بن جبل حيث يقول « ولكن الحق يُقْبَل من كل من تكلم به »[٥٤] وهو يعلل لذلك ، ويبين بعض ضوابطه فيقول « وقد يكون علم من غير الرسول ، لكنْ فى أمور دنيوية ، مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة ،وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه : العلمُ فيها مأخذه عن الرسول ، فالرسول أعلم الخلق بها ، وأرغبهم فى تعريف الخلق بها ، وأقدرهم على بيانها وتعريفها »[٥٥] .

ولعله قد استبان من النصوص الشرعية ،وما ترتب عليها من أفهام ، ظهرت لدى الصحابة وغيرهم أنه لم يكن هناك نهى عام مطلق ، يصد عن المعرفة بتراث الأم الأخر ى، ويحظر على المسلمين أن يتصلوا بهأو يقوموا بالإفادة منه ، أو الترجمة له ، وقد كان ما جاء من نهى – فى بعض النصوص والأقوال – منصباً على جانب خاص ، يتعلق بالعقيدة الإسلامية ،التى يجب أن يحرص المسلم على صيانتها والمحافظة عليها ، وإذا كنا لم نعثر على مترجمات ترجع إلى هذه الفترة أولم نجد خلالها مبادرة إلى ارتياد حقل الترجمة البحث فإنه ينبغى البحث عن أسباب أخرى لذلك، وربما كان فى طليعة هذه الأسباب أن الحركة العلمية عند المسلمين كانت لا تزال ناشئة وليدة ،وأنها كانت تخطو خطواتها الأولى ، وقد أوضح ابن خلدون أن الكتابة والتدوين من جملة الصنائع ، أى أنها تحتاج إلى مهارة ودربة ومراس ووقت طويل وتجارب مستمرة ، وأنها ليست مما يظهر لدى الأم والشعوب فجأة أو دون تمهيد ،وقد كان العرب أمة أمية ليس لها

---

(٥٤) الفتاوى ١٠١/٥ ويذكر تلميذه ابن القيم عبارة مشابهة فيقول « فطالب الحق يطلبه ممن كان ، ويردُّ ما خالفه على من كان » مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، طبعة الشيخ محمد حامد الفقى ، السنة المحمدية ١٩٥٦ ٣/ ٥٢٢ ، وانظر ٣٣٠/٣ ، ٣٣١ .

(٥٥) الفتاوى ١٣٦/١٣ .

بالتأليف والتدوين صلة وثيقة تتيح لهم أن يتفوقوا ، أو يبرزوا فى هذا المجال من أول الأمر .

ويشير ابن خلدون إلى شيء من ذلك فى قوله « والسبب فى ذلك أن المِلَّةَ فى أولها لم يكن فيها علم ولاصناعة ،لمقتضى أحوال البداوة والسذاجة ، وإنما أحكام الشريعة التى هى أوامر الله ونواهيه ،كان الرجال ينقلونها فى صدورهم،... والقوم – يومئذٍ – عرب ، لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ، ولا دُفعوا إليه، ولا دعتهم إليه حاجة ،وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين ...»(٥٦) فلما نشأت الحاجة جدّ لديهم ما يسدها ،ولقد كان من الطبيعى أن تتجه جهودهم – فى أول الأمر – إلى الحفاظ على القرآن الكريم والسنة النبوية، بوصفهما المصدرين الأصليين للإسلام ، وتمثل ذلك فى العناية بتفسير القرآن وجمع الأحاديث والمرويات والأحكام ؛ خشية عليها من الضياع والتبدد ، بتقادم الزمن أو بموت من يحملونها ،وكان من الضرورى أن يكون ذلك عن طريق تدوين المعارف بدلاً من الاعتماد على الروايات الشفهية وحدها ، ثم كان لابد من الاهتمام باللغة العربية ، التى هى لغة القرآن الكريم ، وذلك بعد دخول غير العرب فى الإسلام ، وظهور اللحن على ألسنة العرب أنفسهم ، حتى فى قراءة بعضهم للقرآن الكريم ، وهكذا وجد المسلمون أنفُسَهُم مدفوعين إلى الإنشغال بكثير من العلوم المتعلقة بأصول شريعتهم ومصادر دينهم ، وصيانة لغتهم . ولقد كان من الطبيعى أن يكون الانشغال بهذه العلوم وتأسيسها سابقا على الانشغال بغيرها من علوم الأمم الأخرى وتراثها ، هذا فضلا عن الانشغال بحركة الجهاد

(٥٦) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥١٠ – ٥١٢ ، وانظر ٣٦٣ وواضح من بقية النص أنه يتحدث عن إقبال الموالى على العلم ، وتفوقهم فى ذلك على العرب أنفسهم وهى مسألة من المسائل التى أثير حولها الجدل ، وانتقد من أجلها ابن خلدون ، ولكنّ ما أشرنا إليه من قوله هنا صحيح فى تصوير الحالة العلمية فى بدايات ذلك العصر.

والفتوح منذ أوائل هذا العصر إلى أواخر عهد عثمان ، ثم الوقوع فى براثن الفتنة والصراع فى أواخر عهد عثمان ، وعهد على رضى الله عنهما ، ومن شأن هذه الأحداث الكبرى أو الجسيمة أن تستنفد كثيرا من طاقة أصحابها ووقتهم ، وأن تصرفهم صرفا إلى الاستغراق فيها ، وبذل الجهد فى سبيلها ، وقد تدفعهم دفعا إلى المشاركة الفعلية فيها ، ويترتب على هذا الانشغال بها أن يقل إسهامهم فى مجال العلم والتأليف ، بما يتطلبه من مقتضيات وشروط ليست مقصورة على ما يحتاج إليه العلم من درس عميق ، وصبر طويل ، بل إنه لابد – مع ذلك – من قدر لا بأس به من الفراغ النّسْبِى والتحرر من وطأة الشواغل والصوارف – على اختلافها– ليتمكن الباحث أو العالم من معايشة موضوعه ، وطول التأمل له ، والتفكير فيه ، على نحو يتيح له الإجادة والإبداع .

ويمكن أن يضاف إلى ما سبق أن الترجمة كانت – عندئذ – شيئا جديدا لا عهد للناس به ، ولم يكن لديهم فى بيئتهم « سابقة » ينسجون على منوالها أو يسترشدون بها ، ولعلها لم تخطر لهم – آنذاك – على بال ، ولذلك لم يتبين لهم وجه الحاجة إليها ، أو ما يمكن أن يتحقق لهم من منافع من ورائها ، ثم إنها تحتاج إلى معرفة اللغات وإجادتها ، والصبر على الترجمة وأعبائها ، وهذا ما لم يكن قد تهيأت له الأسباب بعد ، ولقد كان على الترجمة – فى ظل هذه الظروف كلها – أن تنتظر بعض الوقت إلى أن تتهيأ الفرصة لها ، وتوجد العوامل المعينة عليها ، وهذا ما بدأ يتحقق شيئا فشيئا ، وبقدَر ، فى ظل الدولة الأموية .

المبحث الثالث

الترجمة في عصر الدولة الأموية (٤٠ - ١٣٢ هـ)

تمهيد :

إذا كان العصر السابق قد خلا من الترجمة فإن هذا العصر قد شهد «ولادة» هذه الترجمة ، ولدينا شهادات بذلك من مصادر متعددة ومتنوعة : أدبية وتاريخية ، بل لدينا شهادات برؤية بعض ثمارها رؤيا عين ، من بعض الذين جاءوا فى عصور تالية لها ، وليس لنا أن نتوقع أن تكون هذه الترجمات من الكثرة والشمول والنضج بحيث تقارن بالترجمات التى تمت فى العصر العباسى الذى تلا هذا العصر ، والذى وصلت فيه الترجمة - فى العالم الإسلامى - إلى أزهى عصورها ، وأنضج صورها ، والترجمة وُجِدت ، على كل حال ، وتعددت أسبابها، ما بين علمية ونفعية ودينية ، وربما سياسية أيضا ، وكان الذين اهتموا بها - فى الجملة - من خلفاء الدولة وولاتها وأمرائها ، وهذا يعنى أن الدولة شجعت - بطريق مباشر أو غير مباشر - على وجود هذه الترجمات ، ووجدت فيها - فى بعض الأحيان- عونا لها على رسم سياستها إزاء بعض رعاياها ، كما سيتضح من سياق هذه الدراسة .

ويمكن القول بأن وجود الترجمة - فى هذا العصر - قد جاء موازيا لما شهدته الحركة العلمية فيه من نضج ، شمل كثيرا من جوانبها الدينية والتاريخية والأدبية(٥٧) ومعنى ذلك أن النهضة فى مجال العلوم الإسلامية والعربية قد

---

(٥٧) يمكن الرجوع إلى كثير من تفصيلات هذه النضج فى كتاب : فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ، وانظر بصفة خاصة ص ١٤٥ وما بعدها ، ١٦٦ وما بعدها ، ٣٠١ وما بعدها .

ساعدت على التطلع إلى معرفة تراث الأمم الأخرى ، وهيأت البيئة – من الناحية الثقافية والنفسية – لاستقبالها والتفاعل معها ، ووضعت الأساس لنهضتها فى مراحل تالية .

ومادمنا نتحدث عن مرحلة البداية فإن علينا ألا نستغرب ، إذا ما وجدنا أن المعلومات التى تقدمها لنا المصادر المختصة ، فى حديثها عن هذه المرحلة ، تتسم بكثير من النقص والإبهام ، وربما تؤدى مقارنة النصوص بعضها ببعض – على عكس ما هو متوقع – إلى شيء من الحيرة والاضطراب ، فى استخلاص ما تتضمنه من معلومات ضرورية ، نحن أحوج ما نكون إليها لكشف غموض هذه المرحلة المبكرة .

ومن الأمثلة ذات الدلالة – فى هذا الصدد – أن المصادر قد تختلف فى التحديد الدقيق لأسماء بعض المترجمين الذين ينتسبون إلى هذه المرحلة ، وذلك كاختلافها فى اسم الشخص الذى قام بترجمة كتاب اهرن القس فى الطب من السريانية إلى العربية ، فهو ما سرجيس عند بعضهم(٥٨) ، وماسرجويه عند أكثرهم(٥٩) ومن الممكن أن يؤدى هذا إلى خلط وغموض كما لاحظ بعض الدارسين(٦٠) ، ومثل ذلك الاختلاف فى شخصية ابن أبجر ، الذى يُكْتب بالجيم المعجمة ، أو ابن ابحر بالحاء المهملة ، أو ابن الحبر . وتربط المصادر التاريخية بينه وبين عمر بن عبدالعزيز ، ويثور التساؤل حوله ، هل هو عربى

---

(٥٨) انظر : الفهرست ٤١٣ .

(٥٩) انظر : طبقات الأطباء ص ٦١ وطبقات الأمم ٢٠٢ ، ٢٠٣ وأخبار العلماء للقفطى ٥٧ ، وعيون الأنباء ٢٣٢ ، وتاريخ مختصر الدول ١٥٢ .

(٦٠) leclerc,lucien:Histoire de la médecine arabe, édité par Ernest leraux. paris1876,1/79.

مسلم من أهل الحديث ؟ أو أنه نصرانى ترك نصرانيته إلى الإسلام على يد عمر بن عبدالعزيز(٦١) ويرى لكلير أن ابن أبجر هذا ليس إلا فيلسوفا مسيحيا ، عاش فى الإسكندرية فى فترة سابقة على عهد عمر بن العزيز ،وكان يسمّى ادفر(٦٢) ولم يكن الخلط – على كل حال – مقصورا على هذه الفترة ، بل إننا نجد له نظائر فى فترات لاحقة(٦٣) وإذا كان التشابه يؤدى – بصفة عامة – إلى الخلط، وما يترتب عليه من نسبة الأعمال إلى غير أصحابها ، أو الحيرة فى نسبتها إلى أصحابها ، فإنه فى المرحلة التى نتحدث عنها يعد أكثر صعوبة ، بسبب انعدام القرائن المرجحة أو قِلّتها .

وإذا ما عدنا مرة أخرى إلى ما سرجويه أو ما سرجيس فسنجد أن الخلاف ليس واقعا فى اسمه فحسب ، بل إنه واقع ،كذلك ، فى تحديد الفترة التاريخية التى أنجز فيها ترجمته لكتاب اهرن القس ، فابن جلجل يقول عن ماسرجويه إنه تولى فى الدولة المروانية تفسير(٦٤) هذا الكتاب ، ويتفق معه ابن أبى أصيبعة فى هذا التعبير ، أما ابن العبرى فينقل كلام ابن جلجل ، مع تصرف فى العبارة، على نحو يجعلها أكثر تحديدا ، وأضيق نطاقا من الناحية التاريخية ، وفى هذا يقول: «... وهو الذى تولى فى أيام مروان تفسير كتاب اهرون القس إلى العربى»(٦٥) ولا شكّ فى أن عبارة ابن العبرى تحصر الفترة التاريخية فى فترة

(٦١) انظر : طبقات الأطباء لابن جلجل ص ٥٩ والتعليق القيم الذى كتبه الأستاذ فؤاد سيد بهامش صفحتى ٦٠،٥٩ منه وقارن:طبقات الأمم ١٢٧ وعيون الأنباء ١٧١ .

(٦٢)انظر كتابه الذى سبقت الإشارة إليه ٦٢/١.

(٦٣) انظر مثلا : تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص ٢٢٦ وهامش ١ بها .

(٦٤) أى ترجمته كما تجمع على ذلك المصادر الأخرى ، ويلاحظ أن كلمة التفسير يُقصد بها الترجمة فى كثير من الأحيان ، بدلالة السياق أو بدلالة الواقع ، وهذا مثال لاستخدامها بمعنى الترجمة ، وسنشير إلى مثال آخر فيما بعد .

(٦٥) انظر: طبقات ابن جلجل ٦١ وعيون الأنباء : ٢٣٢ وقارن بابن العبرى : تاريخ .. ١٩٢ .

حكم مروان بن الحكم وحده وقد كان ذلك عام ٦٥ هـ ، على حين أن تعبير ابن جلجل ليس نصا فى ذلك التحديد ، بل إنه يحتمل معه معنى آخر يمتد بهذه الفترة إلى سقوط الدولة الأموية ، لأن كل الذين حكموا من بعد مروان هم أبناؤه وأحفاده، وهم داخلون فى نطاق ما يسمى بالدولة المروانية .

ويترتب على الاختلاف فى تحديد الفترة التاريخية اختلاف آخر فى تحديد موقع هذا الكتاب بين الكتب المترجمة ، فلئن كانت الترجمة قد تمت فى عهد مروان فإن الكتاب يعد – عندئذ – من أقدم الكتب التى تُرجمت إلى اللغة العربية ، أما إذا أخذنا « الدولة المروانية » بالمعنى الواسع فإن من المتعذر – عندئذ – أن نحدد له تاريخا معينا ، ومن ثم يصعب وضعه فى السياق التاريخى الذى يستحقه .

ولا ينتهى الخلاف حول هذا الكتاب عند هذا الحد ، بل إنه يتخذ اتجاها آخر عندما تربطه بعض الروايات بعمر بن عبدالعزيز (١٠١هـ) ويظهر ذلك – مثلا – فيما ذكره صاعد الأندلسى والقفطى عن ماسرجويه أو ماسرجيس مترجم الكتاب ، فصاعد يقول عنه ، وهو بصدد الحديث عن بنى إسرائيل « وكان منهم فى دولة الإسلام ، ممن اشتهر بصناعة الطب ، ماسرجويه الطبيب ، الذى تولى لعمر بن عبدالعزيز ترجمة كتاب اهرون القس فى الطب ، ... »(٦٦) ويذكر القفطى عبارة مقاربة(٦٧) .

ويؤدى اختلاف الروايات على هذا النحو إلى الحيرة ، ويبدو أن الأمر كان محيرا للقدامى أنفسهم ، وقد حاول بعضهم التغلب على المشكلة بالجمع بين أطرافها ، خروجا من الخلاف حولها ، وقد سبق ابن جلجل إلى هذا الطريقة

---

(٦٦) طبقات الأمم ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٦٧) إخبار العلماء .. ٢١٣ .

التوفيقية ، حين قال عن المترجم إنه : « تولى فى الدولة المروانية تفسير كتاب اهرن بن أعين القس إلى العربية ، ووجده عمر بن عبدالعزيز فى خزائن الكتب، فأمر بإخراجه ، ووضعه فى مصلاه ، فاستخار الله فى إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به ، فلما تم له فى ذلك أربعين (كذا) صباحا ، أخرجه إلى الناس، بثه فى أيديهم »[٦٨] وإذا قارنا هذه الرواية بما ذكره صاعد والقفطى فسنجد أن بينهما اختلافاً فى التاريخ ، فابن جلجل يعود بالترجمة إلى عهد مبكر ، يزيد قليلا عن ثلث قرن عما نجده لدى صاعد والقفطى ، وهذا فارق ليس بالهيِّن بالنسبة لهذه الفترة المبكرة .

على أن النص يثير – بعد ذلك – تساؤلات هامة عن طبيعة خزائن الكتب التى وجد بها عمر بن عبدالعزيز هذا الكتاب ، فما هذه الخزائن ؟ ومن الذى أنشأها ؟، وما طبيعة الكتب التى كانت توجد بها ؟ وهل هى محاولة مبكرة لإنشاء نموذج لبيت الحكمة الذى أنشأه العباسيون فيما بعد ؟ ومن الذى كان له حق الاطلاع على الكتب الموجودة بهذه الخزائن ؟ ثم لماذا لم يُخرِج مروان بن الحكَم هذا الكتاب بعد ترجمته إلى الناس ، وهل كان ذلك لقصر مدة خلافته التى كانت أقل من سنة ؟، أو أن ذلك كان بسبب انشغاله بالحروب التى اضطر إلى خوضها ، بسبب انفصال بعض الأقاليم عن الدولة بعد وفاة يزيد بن معاوية واستعفاء ابنه معاوية بن يزيد من الخلافة كما يدلنا على ذلك تاريخ هذه

---

(٦٨) طبقات ابن جلجل : ٦١ ويلاحظ أن الترتيب التاريخى كان يقتضى أن نؤخر الحديث عن عمر بن عبدالعزيز إلى ما بعد الحديث عن خالد بن يزيد بن معاوية الذى توفى قبل عمر ، ولكن الحديث عن عمر جاء هنا فى سياق الحديث عن كتاب الطب الذى ترجمه ماسرجويه ، وهو أسبق ، إذا لاحظنا الرواية التى تقول إنه ترجم فى عهد مروان بن الحكم .

الفترة؟(٦٩) ، أم أن الأمر كان يرجع إلى احساسه بالتهيب والحرج من إخراج هذا الكتاب إلى الناس ؟، وخشيته من رد الفعل الذى يمكن أن يستقبل به الناس كتابا مثل هذا الكتاب ، الذى يسلك بهم طريقا غير مألوف ، ويبعد بهم عما اعتاده من علم يتعلق بالدين ، وهو العلم السائد فى هذا العصر ؛ إذ « أكبر شىء قيمة هو الدين ، فكان طبيعيا أن يكون العلم السائد فى هذا العصر ، فى جميع الأقطار هو علم الدين وما إليه »(٧٠) .

وليس هذا التساؤل الأخير مقطوع الصلة بما تذكره الرواية عن عمر بن عبدالعزيز الذى بلغ به الحرج – أو الورع – مداه ، حتى إنه ليضع الكتاب فى مصلاه أربعين يوما ، يستخير الله تعالى فيها أن يخرجه للناس لينتفعوا به ، ولعله كان يخشى أن يكون بفعله هذا قد ابتدع بدعة ، أو سنّ للناس سنة سيئة يكون عليه وِزْرها ووزر من عمل بها ، مع أن الأمر فى مثل هذه العلوم النافعة أو الأمور الواضحة لم يكن ليستدعى كل هذا التردد أو التحرج أو الحيرة ، ولكن هذا المسلك من عمر يكشف عن جانب من مشاعر التوقف والهيبة التى كانت تنتاب جمهور الصحابة والذين جاءوا من بعدهم إزاء كل أمر جديد ، لم يكن موجودا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . ومن الأمثلة الواضحة الدلالة على ذلك ما رأيناه من تردد أبى بكر ، حين عرض عليه عمر أن يقوم بجمع القرآن فى صحف مكتوبة ، بعد أن استحرّ القتل بقراء القرآن فى موقعة اليمامة وغيرها ، وقد قال له أبو بكر عندئذ : « كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ؟ قال عمر : هذا – والله – خير » وما زال عمر يراجعه إلى أن شرح الله له صدر أبى بكر ، فأرسل إلى زيد بن ثابت ، وكلمه فى الأمر ، فقال

---

(٦٩) انظر تاريخ الطبرى أو الكامل لابن الأثير أو نحوهما فى أحداث سنة ٦٤ للهجرة .

(٧٠) فجر الإسلام ١٩٠ .

لهما : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟..»(٧١) وإذا كان عمر بن الخطاب قد أقدم هنا ، فإنه قد تردد فى أمر آخر لمعنى قريب من هذا الذى ذكره أبو بكر وزيد بن ثابت ، فقد عَنّ لعمر أن يكتب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم « فاستفتى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما، وقد عزم الله له ، فقال : إنى كنت أريد أن أكتب السنة ، وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم ، كتبوا كتبا ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإنى – والله – لا أشوب كتاب الله بشىء أبدا»(٧٢) وهذا الذى تردد فيه عمر بن الخطاب – وليته لم يتردد – فعله « من بعده» عمر بن عبدالعزيز ، صيانة للسنة ، وحفاظا عليها ، وإغلاقا لباب الوضع ، الذى تعددت أسبابه ، وتنوعت مساربه بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية ثم بعد فتنة الصراع على الخلافة ، ووقوع الحروب بسببها بين المسلمين(٧٣) .

وعلى الرغم من هذا التثبت والتورع الذى أبداه عمر بن عبدالعزيز إزاء هذا الكتاب الطبى الذى عثّر عليه أو ترجم له فإنه لم يفلت بسببه من بعض سهام النقد التى وجهها إليه بعض الباحثين(٧٤) .

---

(٧١) صحيح البخارى : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن : ٩٨/٦ .

(٧٢) جامع بيان العلم وفضله ٦٤/١ ولعل مشاعر التورع والحرج هذه كانت عاملا من عوامل البطء فى التوجه إلى الترجمة ، وعدم المسارعة إليها فى عصر صدر الإسلام وبعض العصر الذى نتحدث عنه وانظر ما سبق ص ٢٥ وما بعدها .

(٧٣) انظر : القسطلانى : شهاب الدين أحمد بن محمد إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى ، المطبعة الأميرية ببولاق – مصر ١٣٢٣ هـ ط ٧ جـ٦/١ ، ٧.

(٧٤) انظر : د/ على سامى النشار : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، دار المعارف ط ١٩٧٨/٤ وقد ذكر أن الأمويين أطلقوا خرافات وأساطير عن عدالته ، هى – فى رأيه – افتعال وانتحال ، وكان من مآخذه عليه صلته بعلماء مجلس التعليم الطبى بالإسكندرية ، وأمْرُه بترجمة كتاب فى الطب إلى العربية ، وإنه ليحق لنا أن =

وتدلنا هذه التساؤلات الكثيرة التى أثيرت حول هذا الكتاب وزمن ترجمته، وحول تحديد مَنْ أمَرَ بترجمته على حجم الصعوبات المتعلقة بهذه الفترة ، لاسيما فى بداياتها الأولى ؛ نظراً لقلة المعلومات من جهة ، ثم لاضطرابها وعدم وضوحها من جهة أخرى ، وليس أمام الباحث من سبيل – فى مثل هذه الحالة– إلا أن يلجأ إلى الفروض والاستنتاجات التى قد تعين على ملء الفراغات التى لم تقم المصادر بملئها ، ولكنه مطالب – فى الوقت نفسه – باتباع مقتضيات المنهج العلمى ، التى تلزم الباحث بأن يتخذ جانب الحذر عند فرض الفروض ، وعند الاستنباط منها ، خشية الإمعان والإغراق فى الخيال ، ثم بأن يسلك مسلك التواضع فى الاستنتاج لئلا يقع فيما تجر إليه المبالغة من أخطاء . ويمكن – على هدى من ذلك – أن نقف موقف المتردد فيما يقال من أن ابن أثال – وهو طبيب كان على عهد معاوية (ت ٦٠ هـ) قد ترجم كثيرا من كتب الطب

= نتساءل : هل يكون عمر مستحقا للهجوم عليه بسبب أمره بترجمة كتاب فى الطب مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتداوى ، وأذن للمسلمين بأن يتداووا ، حتى لو كان ذلك عند غير المسلمين ؟ ولا شك أن ترجمة كتاب فى الطب تساعد على تحقيق هذا الأمر وهذه المنفعة ، وهل فى ترجمة كتاب فى الطب ما يعد عدوانا على الشرع أو مخالفة لأمره ؟ ثم هل يستحق عمر هذا الهجوم مع تحرّجه وتأثمه كل هذه المدّة الطويلة إلى أن شرح الله صدره لما فيه الخير والمصلحة للناس ، ثم نتساءل أيضا : لماذا اختار بنو أمية عمر – من بينهم جميعا – ليطلقوا حوله هذه الأساطير عن العدالة والورع ؟ ، وهل كان بنو أمية هم الذين قاموا برسم هذه الصورة المعهودة لعمر على ما هى عليه من حيث الورع والتقى والعدالة أو أن الذى فعل ذلك هو جماهير المسلمين من بعده ؟ وإذا كان بنو أمية هم الذين صنعوا هذه الأسطورة فلماذا كرهوا حكمه واستثقلوا عدالته ، ورغبوا فى انقضاء حكمه ؟ وهل الأمويون هم الذين كتبوا تاريخ عمر وتاريخهم ، أو أنه كتب من بعدهم فى ظل العباسيين ؟ إلى تساؤلات كثيرة أخرى تجعل هذا الحكم من أستاذنا الدكتور النشار – يرحمه الله – حكما مستغربا !! .

فى عهده[(٧٥)] ولو صح مثل هذا الخبر لَكُنا أمام أقدم الترجمات التى تمت فى العهد الإسلامى كله ، ولكن الأمر يحتاج إلى مزيد من التروى ، والتثبت ، لاسيما ونحن نتحدث عن نشوء ظاهرة الترجمة التى كانت ما تزال – عندئذ – شيئا غير مألوف فى المجتمع العربى الإسلامى ، ولا ينبغى أن نقنع فى مثل هذه المسألة بمجرد الإمكان أو الاحتمال ، بل لابد من وجود قرائن أو شواهد تؤيد هذا الاحتمال وتقويه ، ولسنا نجد فى الخبر الذى ساقه ابن أبى أصيبعة ما يؤيد ذلك ، فهو لا يذكر شيئا عن قيامه بالترجمة ، ثم إن الصورة التى يقدمها لابن أثال هى صورة رجل ماهر فى الطب والصيدلة ، خبير بالأدوية والسموم ، عليم بما هو قاتل منها ، وكان لهذه الخبرة أثر كبير فى اقترابه من معاوية الذى «اصطفاه لنفسه ، وأحسن إليه ، وكان كثير الافتقاد له ، والاعتقاد فيه ، والمحادثة معه ليلا ونهارا ، وكان ابن أثال خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها ، وما منها سموم قواتل ، وكان معاوية يُقَرِّبُه لذلك كثيرا ، ومات فى أيام معاوية جماعة كثيرة من الناس والأمراء من المسلمين بالسم»[(٧٦)] .

---

(٧٥) انظر : خودا بخش : الحضارة الإسلامية ، ترجمة د/ على حسنى الخربوطلى طبع دار الكتب الحديثة ص ١٥٢ ، وفاضل خليل إبراهيم : خالد بن يزيد ، سيرته واهتماماته العلمية طبع بغداد ١٩٨٤ ص ٥٠ .

(٧٦) عيون الأنباء ص ١٧١ وفى النص اتهام صريح لمعاوية بأنه كان يستخدم علم ابن أثال فى القضاء على خصومه ، وقد ذكر وقائع وحوادث يؤيد بها هذا الاتهام . انظر ١٧١ – ١٧٤ وربما جاء هذا الاتهام فى سياق الصراع على الحكم بين معاوية وخصومه من شيعة الإمام على أو من العباسيين . وقد بحثت عن مثل هذا النص لدى السابقين على ابن أبى أصيبعة كابن جلجل وابن النديم وصاعد ، أو لدى بعض معاصريه كالقفطى فلم يتيسر لى أن أجده لدى أحد منهم ، وهذا يثير تساؤلات حول المصدر الذى استقى منه ابن أبى أصيبعة هذا النص ، وبينه وبين معاوية (ت ٦٠ هـ) ستة قرون أو تزيد (توفى ابن أبى أصيبعة ٦٦٨ هـ) .

وليست مهارته فى الطب والصيدلة بمستلزمة لقيامه بالترجمة أو إجادته لها على كل حال ، ولعل شخصا بمثل هذا السوء لا يجد فى الترجمة وأثقالها ما يجذبه إليها ، فضلا عن أن يترجم كتبا كثيرة ، كما يقال .

٢- وإذا كانت الفترة السابقة التى شهدت البدايات الأولى لحركة الترجمة قد شابها كثير من الغموض ونقص المعلومات فإننا سنلتقى بقدر أكبر من الوضوح ، وكمٍّ أكثر من المعلومات ، حين نصل إلى شخصية ذات صلة وثيقة بالترجمة، وهى شخصية خالد بن يزيد بن معاوية(٧٧) الذى تقدم لنا المصادر عنه معلومات هامة نفتقدها فيما سبق من الشخصيات ، وتتميز هذه المصادر بتنوعها ، فهى ترجع إلى ميادين الأدب والتاريخ العام والتراجم وكتب تاريخ العلم ، وهى ترسم لنا كثيرا من ملامح شخصيته ، ومجالات اهتمامه ، ومطامحه السياسية والعلمية ، وهى تكشف- إلى حد كبير-عن علاقته بالترجمة ، وجدارته بأن يكون له هذا الدور المتميز فى تأسيسها، والنهوض بها . وتتمثل الصورة العامة التى يمكن استخلاصها له من هذه المصادر فى أنه كان ذا ثقافة شاملة تجمع فى رحابها علوم الدين واللغة،وقد وُصِف بأنه كان أعلم قريش بفنون العلم أو من أعلمها(٧٨)

---

(٧٧) اختلفت المصادر التاريخية فى سنة وفاته ما بين ٨٢ - ٩٠ للهجرة ، ويرجّح أكثرها أنه توفى سنة ٩٠ انظر -مثلا-: البداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف بيروت ط ١٩٨١/٤ جـ٩/ ٨٠ ، وشذرات الذهب لابن العماد ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ٩٩/١ وانظر : فاضل خليل إبراهيم : خالد بن يزيد (مرجع سابق) : ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٧٨) انظر : المعارف لابن قتيبة (أبى محمد عبدالله بن مسلم) تحقيق د/ ثروت عكاشة ، دار المعارف مصر ط ١٩٨١/٤ ص ٣٥٢ . والبداية والنهاية ٦٠/٩ ووفيات الأعيان لابن خلكان ، طبعة د/ إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٩ جـ٢/٢٢٤ ، وشذرات الذهب ٩٦/١ .

كما وصف بأنه تفرغ لطلب الحديث وقراءة الكتب (٧٩) وقد وصفه الجاحظ – الذى ربما كان أول من تحدث عنه – بأنه كان « خطيبا شاعرا ، وجيد الرأى أديبا ، كثير الأدب حكيما ... »(٨٠) ووصفه أبو الفرج الأصبهانى بأنه « كان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة »(٨١) ووصفه ابن كثير فى ترجمته له بأنه كان « فصيحا بليغا شاعرا منطيقا ... »(٨٢) ثم كان إلى ذلك من خيار القوم دينا وخلقا(٨٣) .

ولم يقنع خالد بما حصله من معارف فى علوم اللغة والدين ، ولا بما اتصف به من فصاحة وبلاغة وحكمة وجودة رأى ؛ بل إنه امتد ببصره وطموحه إلى أفق جديد ، لم يكن موضع عناية سابقيه أو معاصريه ، ولعلهم ترددوا فى الاقتراب منه أو الاتصال به ، واعنى بذلك مجال العلوم الطبيعية التى كانت تمثل جزءا من التراث الحضارى لبعض الأمم السابقة على الإسلام .

ويبدو أن اتصاله بهذا التراث العلمى كان وثيق الصلة ببعض الظروف السياسية التى مرّ بها ، فضلا عن اهتماماته العلمية الواضحة ، فلقد كان مرشحا لتولى منصب الخلافة بعد تنازل أخيه معاوية بن يزيد بن معاوية عنها ؛ بسبب ضعفه عن القيام بأعبائها(٨٤) أو بسبب ورعه ، ورغبته فى النجاة من أثقالها

(٧٩) انظر الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، مطبعة التقدم – مصر بعناية محمد أفندى ساسى المغربى جـ٨٦/١٦ .

(٨٠) الجاحظ : رسائل الجاحظ ، جمع ونشر حسن السندوبى ، المطبعة الرحمانية مصر ط١/ ١٩٣٣ ص ٧٣ وانظر نماذج من شعره فى الأغانى ١٦/ ٨٤ ، ٨٥ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ والمعارف ٢٢١ .

(٨١) الأغانى ٨٥/١٦ .

(٨٢) البداية والنهاية ٦٠/٩ .

(٨٣) السابق : ٨٠/٩ وانظر الفهرست : ٣٨٨ .

(٨٤) انظر تاريخ الطبرى ، طبع مؤسسة عز الدين – لبنان ٥/ ٢٦٧ ، ٢٦٨ فى أحداث سنة ٦٥ للهجرة – والكامل ١٢٩/٤ ، ١٣٠ .

وأوزارها وحساب الله له عنها ، وقد ترك الخلافة دون أن يستخلف أحدا من أهل بيتـه ، وعلل ذلك بقـوله « والله ما ذقت حـلاوة خـلافتكم فكيف أتقلد وزرها»[٨٥] ولو استخلف معاوية لاستخلف أخاه خالد بن يزيد ، ولكنه لم يفعل، وبذلك أفلتت الفرصة منه ، ثم أفلتت الفرصة منه – مرة ثانية – بعد أن طالب كثير من أنصار بنى أميه باختيار مروان بن الحكم ، وتقديمه على خالد ، لأن مروان شيخ مجرب ، على حين أن خالدا ما يزال صغيرا ، وقد قال فى ذلك قائلهم: « لا تأتينا العرب بشيخ ، ونأتيهم بصبى » وقد اتفق الرأى فى مؤتمر الجابية الذى عقد قريبا من دمشق سنة ٦٥ للهجرة على أن تكون الخلافة لمروان ثم لخالد من بعده ، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعدهما ، على أن يتولى خالد إمارة حمص[٨٦] لكن مروان لم يفِ بما تم الاتفاق عليه ، بل دعا الناس إلى البيعة من بعده لابنيه : عبدالملك وعبدالعزيز[٨٧] وهكذا ضاعت الفرصة منه للمرة الثالثة ، وقد تبدد أمله ، للمرة الرابعة ، فى أن تكون الخلافة له بعد عبدالملك الذى أراد استمالته إليه بعد أن أطمعه فى العقد له بعده ، لكن المُلْكَ عقيم ،كما قال عبدالملك ، ولذلك استخلف من بعده أبناءه بعد وفاة أخيه عبدالعزيز ، وخرجت الخلافة بذلك من فرع معاوية لتستقر فى فرع مروان على يد عبدالملك الذى يُعَدُّ المؤسِّسَ الثانى للدولة الأموية ، وأسلمه ذلك إلى اليأس من الوصول للخلافة[٨٨] .

(٨٥) انظر المسعودى : مروج الذهب ، نشرة الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الفكر – لبنان ط ٥/ ١٩٧٣ جـ ٣ / ٨٢ ، والكامل ١٤٥/٤ .

(٨٦) انظر تاريخ الطبرى ٢٨٦/٥ – ٢٧١ ومروج الذهب ٩٤/٣ ، ٩٥ والكامل ١٤٥/٤ – ١٤٩ .

(٨٧) انظر الطبرى ٣٠٧/٥ ، ومروج الذهب ٩٧/٣ ، والكامل ١٩١/٤ ، ١٩٢.

(٨٨) انظر طبقات ابن سعد ، دار صادر ، دار بيروت ٢٢٧/٥ ولعل مما دفعه إلى ذلك أن عبدالملك لم يتورع عن قتل من نازعوه فى أمر الخلافة ، ومنهم عمرو بن سعيد الذى كان ثالث المرشحين للخلافة فى مؤتمر الجابية . انظر طبقات ابن سعد فى الموضع السابق ، والكامل ٤/ ٢٩٧ – ٣٠١ ، ٣٠٣ .

وعلى الرغم من استئثار عبدالملك بالخلافة فقد جعل خالدا موضع مشورته، وكأنه يريد بذلك استمالته ، وانتزاع مشاعر الكراهية من نفسه ،وكان يلجأ إليه فى المسائل المعضلة ؛ ثقة منه فى رجاحة عقله وصواب رأيه ، فقد استشاره فى فتنة ابن الأشعث وهى من أشد ما واجهه عبدالملك ، وكشف خالد – فى تقديره للموقف– الذى فزع له الحجاج نفسه – عن بصيرة نافذة وفراسة صادقة[٨٩] ثم استشاره عندما دبَّ الخلاف بينه وبين ملك الروم ، حين استحدث عبدالملك تقليدا جديدا يتمثل فى افتتاح رسائله إلى ملك الروم بذكر سورة الإخلاص ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أرسل إليه ملك الروم محتجا على ذلك،ومحذِّرا منه ، ومهددا بأنه إذا لم يمتنع المسلمون عن ذلك فسوف يأتى إليهم فى دنانيرهم ، التى كانت تصنع فى بلاد الروم ، حتى ذلك الوقت ، ما يكرهونه فأرسل عبدالملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية «وكان أديبا عالما » ليستشيره ، فأشار عليه بأن يمتنع عن استحضار دراهمهم ودنانيرهم ، وأن يقوم ، بدلا من ذلك ، بضرب وسكّ عملة إسلامية ، تغنى المسلمين عن التبعية لغيرهم فى هذا الأمر المهم ، الذى يعد – بحسب التعبير الحديث – ركنا من أركان استقلال الدولة وسيادتها،فى الجانب المالىّ والاقتصادى ، ولا ينبغى أن تكون تابعة فيه لغيرها ، وقد استجاب عبدالملك لمشورته دون تردد ، وعمل على تحقيقها[٩٠] ويكشف هذا الاقتراح الجرئ غير المسبوق عن كفاءة خالد ، وقدرته على ابتكار الحلول ، ومواجهة المشكلات بفكر صائب حكيم .

لكن إمارة خالد على حمص ، ومشورة عبدالملك له لم تكونا كافيتين لإشباع طموحات خالد ، وآماله السياسية أو لملء فراغ نفسه ووقته ، ولذلك كان

(٨٩) الكامل ٤/ ٤٦٤ وانظر ٥/ ٤٠٨ .

(٩٠) انظر : الأوائل لأبى هلال العسكرى ٢٠٥ ، ٢٠٦ وصبح الأعشى لأبى العباس القلقشندى ، طبع المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر ١٩٨٥ جـ ٢٦٨/٦ والكامل ٤١٦/٤ ، ٤١٧ .

من الضرورى أن يجد لنفسه سبيلا آخر ، يتلاءم مع ثقافته الواسعة ، ومعارفه المتنوعة ، وما اتصف به من فطنة وجودة رأى وحكمة ، ولم يكن هنالك من سبيل أكرم ولا أشرف من أن يتجه خالد وجهة العلم ، لعله يجد فى رحابه عوضا عن آماله التى تبددت ، بسبب مطامع آل مروان ، بل إنه ربما أراد أن يحقق من ورائه قوة تقارب قوة الخلافة إن لم تعادلها ؛ لذلك انصرف تفكيره إلى ارتياد هذا الطريق الجديد الذى لم يكن مألوفا فى البيئة الثقافية التى كان يعيش فى ظلها، وهو طريق العلوم الطبيعية ذات الفائدة العملية المحققة أو المتوقعة ، وكأنه أراد بذلك أن يجمع قوة العلم واحتكار أسراره إلى قوة المال، الذى كان له منه حظ ليس بالقليل . ومن هذه العلوم : **الكيمياء والطب والفلك** ، ولم يكن له أن يحقق ذلك إلا عن طريق الترجمة ؛ لأن العرب لم يكن لهم تراث علمى يمكن البناء عليه أو إكماله فى هذه العلوم(٩١) ، وقد اشتهر – أكثر ما اشتهر بعلاقته بعلم الكيمياء ، ويكشف خالد نفسه – فى نص منسوب إليه – عن سر اشتغاله بها فيقول « ما أطلب بذاك إلا أن أغنى أصحابى وإخوانى ؛ إنى طمعت فى الخلافة ، فاختُزِلت دونى ، فلم أجد منها عوضا ، إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة (الكيمياء) ، فلا أُحْوِج أحدا عرفنى يوما ، أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان: رغبة أو رهبة »(٩٢) وقد كان المفهوم السائد عن الكيمياء فى عصر خالد ، أنه يمكن عن طريقها تحويل المعادن إلى ذهب ، وقد شاعت هذه الفكرة فى مدرسة

(٩١) انظر طبقات الأمم : ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٩٢) الفهرست : ٤٩٧ ولم يشر خالد إلى انتفاعه هو بما يمكن أن يحصله من ثروة من وراء هذه الكيمياء ، ولعل السبب فى ذلك أنه كان غنيا ، ومن دلائل غناه أنه بنى جامع حمص عندما كان أميرا عليها ، وكان له فيه أربعمائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه أعتقهم ، انظر البداية والنهاية ٨٠/٩ وتوجد دلائل أخرى . انظر وفيات الأعيان ٢٦٥/٣ ، ٢٦٦ ، ولكن المنفعة لا تتمثل فى المال وحده ، بل إنها تتمثل – فضلا عن ذلك – فى قوة الاستغناء عن السلطان ، وعدم الحاجة إليه ، رغبة أو رهبة ، والعلم – إذن قوة ، أو هو على الأقل مصدر من مصادرها ، وهو يستغنى به بهذا المعنى .

الإسكندرية قبل الإسلام ، حيث أشاع بعض الكهنة أنهم حولوا المعادن إلى ذهب، فأضلوا بذلك كثيرا من محبى الاستطلاع ، والطامعين فى الغنى ، وحولوا العلم عن وجهته الحقيقية ، وامتزجت أبحاثها بالسحر والطلاسم ، وقد دفع ذلك بعض الأباطرة ، فيما يقال ، إلى الأمر بإعدام كتب الكيمياء التى كانت فيها ، ولكن نجت منها طائفة(٩٣) .

ثم انتقلت هذه المفاهيم إلى العرب المسلمين بعد الترجمة ، فقبلها بعضهم كالرازى الطبيب ، وفخر الدين الرازى ، عالم الكلام ، وعارضها كثير منهم ، وكان من المعارضين لها علماء وفلاسفة كالكندى وابن سينا ، وفقهاء كابن الجوزى وابن تيمية ، ومؤرخون كابن الأثير وابن خلدون(٩٤) وانتقلت هذه الفكرة إلى أوروبا ، واستمرت بها طوال العصر الوسيط(٩٥) ولم يكن خالد - إذن - هو الذى وضع هذه الفكرة ، ولكن يمكن القول بأنه كان ضحية لها، وقد كانت سببا لنقد بعض معاصريه له ، وقد أزرى به بعضهم لأسباب كان من بينها انشغاله بعمل الكيمياء التى لا يقدر عليها(٩٦) وقال عنه أبو الفرج الأصفهانى ، الذى يحفل كتابه بأخبار الطرب والغناء والألحان والأصوات والدعابات « وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء ، فأفنى بذلك عمره ،

---

(٩٣) انظر إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى : ٧٩ ، د/ توفيق الطويل : فى تراثنا العربى الإسلامى ص ٩٥ .

(٩٤) انظر : إخبار العلماء للقفطى : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢٤٦ وصيد الخاطر لابن الجوزى ، تحقيق محمد محيى الدين الأصفر ، دار الإشراق لبنان ط١/١٩٩١ ص ٢٠٦ وتاريخ ابن الأثير ١٤٥/٤ ومقدمة ابن خلدون ٤٨١ ، وقد خصص ابن خلدون فصلا تحدث فيه عن إنكار ثمرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها - المقدمة ٤٩١ - ٤٩٧ وانظر فى الاتجاهات التى اتخذها المسلمون - بصفة عامة - نحو الكيمياء : كشف الظنون ١٥٢٦/٢ - ١٥٣٣ .

(٩٥) انظر : توفيق فهد : ضمن أضواء عربية .. ، مرجع سابق ص ٤١ .

(٩٦) الأغانى : ١٦ / ٨٦ .

وأسقط نفسه »(٩٧) ولكن اشتغاله بالكيمياء وعنايته بها هى التى دفعته – على كل حال – إلى أن يعنى بالترجمة فى هذا المجال .

ويشير ابن النديم إلى ذلك فى نص هام له يقول فيه :« كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان(٩٨) ، وكان فاضلا فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ، ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة ، من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة »(٩٩) .

وإذا كان ابن النديم يذكر – هنا – أن الترجمة كانت فى مجال الكيمياء وحدها ، فإن لديه ولدى غيره نصوصا أخرى ، تكشف عن اهتمام خالد بالترجمة فى مجالات أخرى غير الكيمياء ، فابن النديم يقول « الذى عنى بإخراج كتب القدماء فى الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان خطيبا شاعرا

---

(٩٧) السابق : ٨٥/١٦ كذلك قال الشهرزوى عنه : إن انشغاله بالكيمياء وقع « لهوس كان فى الصنعة » انظر : نزهة الأرواح وروضة الأفراح ، تحقيق د/ عبدالكريم أبو شويرب،طبع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية–ليبيا ١٩٨٨ص ٥٥ .

(٩٨) يبدو هذا الوصف غريبا ؛ إذ أن خالدا يرجع نسبه إلى معاوية لا إلى مروان ، وأن مروان وأبناءه قد حولوا الخلافة إليهم على غير ما يتمنى خالد، ولعل المقصود بهذا الوصف هو نسبته إلى الدولة التى اشتغل بالترجمة فى عهدها ، وهى الدولة المروانية ، كما قيل من قبل عند الحديث عن ماسرجويه ، ومن جهة أخرى فإن مروان قد تزوج بأم خالد بعد وفاة أبيه يزيد ، انظر تاريخ الطبرى ٢٥٢/٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ والكامل ١٢٥/٤ ، ١٥١ ومن أجل ذلك يصفه ابن خلدون بأنه ربيب ابن الحكم،انظر : المقدمة ٤٧٤ .

(٩٩) الفهرست : ٣٣٨ ويتضمن هذا النص عددا من الأفكار المهمة التى سنشير إليها، بعد إيراد نصوص أخرى مكمّلة لها ، ذكرها ابن النديم ، والجاحظ من قبله .

فصيحا حازما ذا رأى ، وهو أول من تُرجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء »[100] .

ولا شك أن مجال الترجمة هنا أوسع من المجال الذى جاء فى النص السابق، فليست الترجمة منحصرة فى نطاق علم الكيمياء وحده ، وإنما يضاف إليها الطب والنجوم أيضا ، بيد أن الجاحظ ، وهو أسبق من ابن النديم قد مضى إلى أبعد من ذلك ، حين جعل دائرة الترجمة أكثر اتساعا ، وفى ذلك يقول عنه « **وكان أول من أعطي التراجمة والفلاسفة (!) وقرّب أهل الحكمة ، ورؤساء أهل كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب (!) والآلات والصناعات** »[101] .

ويمكن – بجمع هذه النصوص بعضها إلى بعض ، ومقارنة بعضها ببعض – أن ندلى ببعض الملاحظات ، وأن نتوصل إلى بعض النتائج ، وذلك على النحو التالى :

١ – يتفق الجاحظ وابن النديم على أن خالد بن يزيد كان أول من اهتم بالمترجمين ، وأن أول ترجمةوقعت فى الإسلام قد تمت تحت إشرافه ورعايته ، ويبدو أن ابن النديم قد ارتضى – هنا – الرأى القائل بأن ترجمة ماسرجويه لكتاب اهرن القس فى الطب لم تقع فى عهد مروان بن الحكم ، بل وقعت فى عهد عمر بن عبدالعزيز ، وهى بهذا تكون لاحقة للترجمات التى تمت فى عهد خالد بن يزيد[102] ولعل اتفاق الجاحظ وابن النديم – مع ما بينهما من

---

(١٠٠) الفهرست : ٤٩٧ .

(١٠١) رسائل الجاحظ ٩٣ .

(١٠٢) كان ابن النديم قد ذكر أن ماسرجيس قد ترجم هذا الكتاب دون أن يحدد الفترة التى تمت فيها الترجمة انظر الفهرست : ٤١٣ ويدلنا كلامه هنا على تحديد ضمنى لهذه الفترة ، أما الجاحظ فيسوق رأيه دون إشارة إلى هذه المسألة .

اختلاف فى الثقافة ، ثم ما بينهما من تباعد نسبى فى العصر(١٠٣) - يعطى سببا قويا أو مسوغا للتردد فى قبول الرأى القائل بأن الترجمة قد بدأت فى عهد معاوية على يد الطبيب ابن أثال(١٠٤) .

٢- لقيت الترجمة والمترجمون - على يد خالد - دفعة قوية ، وتشجيعا واضحا ، من الناحية المادية والمعنوية ، فمن الناحية المادية يُعَدُّ إنفاق خالد على المترجمين ورعايته لهم من أقوى عوامل تشجيعهم على التفرغ للترجمة ، دون قلق منهم على تحصيل أرزاقهم ، وكسب معاشهم ، ولعل هذا يذكرنا - مع الفارق - بما حدث ، من بعد ، فى عهد الدولة العباسية ، لاسيما فى عهد المأمون الذى انفق على المترجمين بسخاء حتى إنه - فيما قيل - كان يزن الكتب المترجمة بالذهب(١٠٥) ، وقد ربط بعض القدامى بينه وبين المأمون ، ومن هؤلاء القلقشندى الذى قال إن « أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وغيرها من كتب العلوم الفلسفية (!) خالد بن يزيد ، ثم تلاه المأمون فأكثر من ذلك»(١٠٦) ، أما من الناحية الأدبية فإن تشجيع خالد للترجمة والمترجمين قد أعان على تثبيت أقدام هذه الظاهرة الجديدة الناشئة، وحمايتها من مقاومة المجتمع لها ، إلى حد كبير ، ومنح أصحابها من المكانة ما يتناسب مع الانتساب إلى هذا

---

(١٠٣) توفى الجاحظ فى العقد السادس من القرن الثالث الهجرى ، وتوفى ابن النديم فى أواخر العقد الثامن من القرن الرابع الهجرى ، ويلاحظ أن ما قاله الجاحظ وابن النديم يتكرر لدى غيرهما . انظر مثلا : صون المنطق والكلام ٤٢/١ وصبح الأعشى ٤٢٠/١ وكشف الظنون ١٥٣١/٢ .

(١٠٤) راجع ما سبق حول هذه المسألة ص ٤٠ - ٤٢.

(١٠٥) انظر عيون الأنباء ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ وكان بعض أغنياء عصره يغدقون على المترجمين أموالا كثيرة تساعدهم على القيام بها انظر مثلا : الفهرست ٣٣٩ ، ٣٤٠ والقفطى : ٢٤ ، ١١٩ ، ٢٠٨ ، وابن أبى أصيبعة ٢٨٤ .

(١٠٦) صبح الأعشى : ١/ ٤٢٠ .

الأمير الذى يتمتع بتقدير الخليفة ، ويحظى بمكانة طيبة فى المجتمع ، وما كان من الممكن لهؤلاء أن يجتمعوا من تلقاء أنفسهم ، ولا أن أن يمارسوا نشاطهم فى حقل الترجمة لولا هذه الرعاية التى أسبغها خالد عليهم .

٣- لا يحدثنا الجاحظ بشىء عن جنسية هؤلاء المترجمين ، ولا عن الجهة التى قدموا منها ، ولا عن اللغة أو اللغات التى ترجموا منها . ولكن ابن النديم يقدم لنا معلومات هامة عن هذه المسائل كلها ، فهو يذكر أن هؤلاء كانوا جماعة من الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا بمصر ، وقد اختارهم ممن تعلموا العربية وأجادوها، وقد بين أنهم قاموا بالترجمة من اليونانية والقبطية إلى العربية ، ويعنى ذلك أن الترجمة لم تمر باللغة السريانية التى كانت كثيرا ما تقوم بدور الوسيط فيما يتم من ترجمات . ويذكر ابن النديم - فى موضع آخر - اسم واحد من هؤلاء المترجمين وهو اصطفن القديم الذى نقل له كت الصنعة وغيرها[١٠٧] .

وتحدثنا المصادر الأخرى عن شخص آخر من الذين اتصلوا به وهو مريانس الراهب الرومى[١٠٨] ، ولكنه - فيما يبدو - كان أستاذاً ومعلما له ، أكثر من أن يكون مترجما ، ولعله اشتغل بالأمرين جميعا ، ويُذْكَر اصطفن ومارينوس ضمن أعلام مدرسة الإسكندرية فى مجال الطب والعلوم ، وهما يُعَدَّان - مع اثنين آخرين - عمدة الأطباء الإسكندرانيين ،كما توصف كتبهم بأنها ذات تأثير

(١٠٧) الفهرست : ٣٤٠ .

(١٠٨) وفيات الأعيان ٢٢٤/٢ ، والبداية والنهاية ٦٠/٩ وشذرات الذهب ٩٦/١
leclerc ,Histoire.... O.P.cit:1/86.
ويشكك المستشرق الألمانى روسكا فى اتصاله بهاتين الشخصيتين ، دون أن يعنى هذا أنه لم يشتغل بالكيمياء ، انظر رأيه هذا لدى د/ عمر فروخ فى كتابه : بحوث ومقارنات فى تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة فى الإسلام . دار الطليعة - بيروت ط ١/ ١٩٨٦ مرة ٧ - ٧٧ .

كبير فى دراسات العرب الأولى[١٠٩] ويأتى اختيار خالد للأسكندرية – دون غيرها – من مدارس العلم التى كانت قائمة – آنذاك – اختيارا موفقا ، وقد جاء متفقا مع اختياره لنوع العلوم التى كان يرغب فى ترجمتها ؛ وهى الكيمياء والطب والفلك ، إذ أن مدرسة الأسكندرية – على الرغم مما أصابها من كوارث قبل الإسلام ، ومما لحق بها من ضعف بعد تأسيس الفسطاط عاصمة لمصر بعد الإسلام[١١٠] – كانت تعد من أهم مراكز دراسة الطب والكيمياء فى العالم القديم[١١١] .

وقد امتد تأثير مدرسة الأسكندرية فى مجال الطب إلى مراحل الترجمة التالية فى عصر الدولة العباسية ، وبخاصة ما ترجمه حنين بن إسحاق الذى جعل المنهج الكامل فى مدرسة طب الأسكندرية فى متناول أيدى الطلاب العرب ، حين ترجم مجموعة مختارة من كتب جالينوس[١١٢] .

٤– يتضح من مقارنة رواية الجاحظ برواية ابن النديم أن مجال الترجمة يتسع لدى الجاحظ اتساعا كبيرا ، فهى لا تقتصر على الكيمياء وحدها ،كما جاءت إحدى روايتى ابن النديم ، ثم هى لا تتوقف عند حدود الكيمياء والطب والنجوم كما تقول الرواية الثانية له ، بل إنها تتسع لتشمل كتب الحروب والآداب

(١٠٩) انظر : القفطى : أخبار .. ص ٥٢، ٢٥٣ ود/ قنواتى : المسيحية والحضارة العربية ص ٧٠ . وتذكر المصادر أسماء آخرين من أعلام هذه المدرسة . وقد ترجمت كتبهم فيما بعد انظر مثلا : القفطى : ٤٢ ، ١٧٢ .

(١١٠) انظر: طبقات الأمم لصاعد ١٠٨ ، والقفطى ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(١١١) انظر: المسيحية والحضارة العربية ٧٦ ، ٧٧ وتاريخ الفكر العربى ١٤ ، ١٥ ، ١٢٩ ، فى تراثنا العربى الإسلامى ١٢٥ .

(١١٢) انظر: أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٥٠ ، وقارن تقييما آخر لدور مدرسة الأسكندرية فى مجال الطب عند الفتح الإسلامى لدى براون : الطب العربى ، ترجمة د/ سلمان على ، طبع مطبعة العانى : بغداد ١٩٦٤ ص ٢٣ .

والآلات والصناعات ، ونحن أكثر ميلا إلى قبول ما يقوله ابن النديم ؛ فهو أكثر ملاءمة لظروف العصر الثقافية ، حيث إن الأشتغال بترجمة هذه العلوم كلها دفعةً واحدة هو أقرب إلى الطفرة ، التى لا تستند إلى قاعدة علمية وثقافية عربية أو أجنبية ، فلقد كانت العلوم العربية ذاتها ما تزال فى أوائل عهدها بالتأليف والتصنيف ، أما الكتب الأجنبية المعرّبة فلم يكن لها من وجود ، بعد ، فى البيئة الثقافية العربية الإسلامية . وربما تُرجم منها كتاب كان ما يزال مخبوءاً فى الخزائن لم يطلع عليه أحد بعد ؛ لذا كان من الطبيعى أن تأتى الترجمة على سنن من التدرج الذى يتفق مع ظروف البيئة وأحوالها الثقافية ، ولقد يمكن فى نطاق الصناعات أو التكنولوجيا – بلغة العصر – أن تقع مثل هذه الطفرة ، وإن كان من النادر أن يقع ذلك على يد فرد مهما كان شأنه ، أما العلوم النظرية والعلوم العملية المرتبطة بها والمؤسسة عليها ، فإن التطور فيها يحتاج إلى قدر أكبر من التأنى الذى يصل إلى حد البطء أحيانا .

*وإذا كان التدرج أكثر اتفاقا مع ظروف العصر ، فإنه – كذلك – يعد أكثر ملاءمة لظروف خالد نفسه ، فهو – مهما كان غناه – لا يزيد عن كونه أميرا أفلتت منه الخلافة ، ومعنى ذلك أن تكون قدرته على الإنفاق أقل ، ولا شك أن تقريب أهل الحكمة ، ورؤساء أهل كل صناعة كما يقول الجاحظ ، ثم ترجمة الكتب فى كل هذه المجالات التى ذكرها ، من فلك وطب وكيمياء وعلوم حربية وأدبية ، وعلوم تطبيقية تتعلق بالآلات والصناعات وغيرها ، ثم احتياج الترجمة فى تلك العلوم كلها إلى عدد كبير من المترجمين ، الذين يحتاجون إلى نفقات باهظة ، سواء أقاموا بالأسكندرية أم انتقلوا إلى عاصمة الدولة فى دمشق ،كما يقول ابن النديم ، لا شك أن ذلك يقتضى أعباء مالية ضخمة ، ربما تقصر أو تضيق عنها امكاناته المالية ، على الرغم مما وصفته به المصادر من غنى ، ولقد يساعد على ترجيح كلام ابن النديم أن رواية الجاحظ

قد جاءت فى سياق الفخر ببنى أمية وأمجادهم ومفاخرهم وفضائلهم ، على لسان بعض الذين ينتمون إليهم ، وقد جعل هؤلاء خالداً من مفاخرهم ، وكان من أعظم أمجاده عندهم ما قام به فى مجال الترجمة ، وفى الفخر يتسع مجال القول - فى العادة - أكثر مما يتسع فى سواه ، وهكذا يكون رأى ابن النديم أجدر وأولى بالقبول .

* على أننا نجد فى نص الجاحظ وجهين آخرين من وجوه التوسع فى القول ، أولهما أن الترجمة تضمنت مجال الأدب ، وهذا أمر يستبعد وقوعه فى الفترة التى نتحدث عنها ، بل إنه ظل أمرا مفتقدا فى الترجمة فيما تلا ذلك من مراحل، حتى فى أيام ازدهارها ، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة ، لعل من بينها أن الأدب يعكس الخصائص الثقافية والاجتماعية للبيئة التى يصدر عنها ، وتتضح فيه الملامح النفسية والوجدانية والرؤية الفلسفية ، التى تختلف من شعب إلى آخر، بحسب العقائد السائدة ، ودرجة التطور الحضارى ، وظروف المعيشة ، إلى غير ذلك من الأسباب ، التى يؤدى الاختلاف فيها إلى عدم الإقبال عليه ، والتفاعل معه ، وربما كان الاختلاف بين البيئة اليونانية والعربية الإسلامية سببا فى وقوع بعض الأخطاء عند ترجمة بعض مصطلحات الشعر والنقد ، حيث كان أرسطو يتحدث ، مثلاً،فى فن الشعر عن شعر المسرحيات والملاحم ، وهو غير معروف فى الشعر العربى القديم ، ولذلك ترجم المترجمون المأساة بالمديح ، والمهزلة بالهجاء مما عوقهم عن فهم كتاب أرسطو ونظرياته ، كذلك فإن ما تضمنه الأدب اليونانى من حديث عن تعدد الآلهة وتجسدها وتشخصها ربما كان ذا أثر فى عدم المسارعة إلى ترجمته(١١٣) ويتفق هذا التفسير مع القاعدة التى تقول إن الحاجز

(١١٣) انظر : ضحى الإسلام ٢٨٠/١ - ٢٨٣ ، وقارن بما ذكره عن الأدب الفارسى والهندى ١٧٤/١ - ١٨٠ ، ٢٤٦ - ٢٥٢ ود/ محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، نهضة مصر ط١٩٧٩/٢ ص ١٤٨ ، ١٤٩ وفى الفكر الفلسفى الإسلامى ، لصاحب هذا البحث ص ٨٠ .

بين الأشخاص المختلفين فى الدين ، أكثر تميزا من الحاجز بين أقطار سياسية مختلفة(١١٣/) أما الأمر الثانى فيتعلق بما جاء فى نص الجاحظ من أن خالدا ترجم كتب النجوم والطب ونحوها ، وينبغى أن يفهم النص على أن خالدا ترجمت له هذه الكتب ، وهو نوع من المجاز المألوف فى اللغة ، أو أن يكون قد سقط من النص ما يدل على ذلك .

* وإذا كنا قد وقفنا هذه الوقفة مع الرأى الذى حكاه الجاحظ فإننا نقف موقفا مماثلا له مما يقال من أن خالدا أمر بعض العلماء اليونانيين الذين كانوا يعيشون فى الأسكندرية بترجمة منطق أرسطو (الأورجانون) من اليونانية إلى العربية(١١٤) ولو صح مثل هذا القول فإننا نكون إزاء ترجمة مبكرة لمنطق أرسطو إلى اللغة العربية عن اليونانية ، وهى تسبق الترجمات المنسوبة إلى ابن المقفع أو ابنه ،كما يقول كراوس بأكثر من نصف قرن . ومعنى ذلك أن تخرج عن نطاق الدولة الأموية كلها ، وتكون الترجمة كذلك قد تمت – فى هذه الحالة – بطريق مباشر من اللغة اليونانية لا عن طريق لغة وسيطة هى اللغة الفارسية . ويتعارض ذلك مع الروايات الأخرى الأكثر شهرة من أن ابن المقفع هو « أول من اعتنى فى الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبى جعفر المنصور ...»(١١٥) ويذكر ابن النديم أن هذه الترجمة تمت عن الفارسية لا عن اليونانية «وقد كانت الفرس نقلت فى القديم شيئا من كتب المنطق والطب ، إلى اللغة الفارسية فنقل

(١١٣/) أوليرى : مسالك .. ص ١١ وقد كان اختلاف الدين عقبة واجهتها الفلسفة فيما بعد .

(١١٤) voir: leclerc, Histoire.. o.p.cite 1/86.

(١١٥) القفطى : أخبار ١٤٨ ، ١٤٩ وانظر الفهرست ٣٣٧ وقد يرجع ذلك إلى عهد الرشيد الذى تمت ترجمة كتب المنطق فى عهده بجهود يحيى بن خالد البرمكى انظر : صون المنطق والكلام جـ١ ص ٤١ .

ذلك إلى العربى عبدالله بن المقفع وغيره ،[١١٦] ولا ينبغى أن يكون الاعتماد فى مثل هذه المسائل المهمة قائما على مجرد الاحتمال ، وخاصة إذا خلا من القرائن أو الشواهد المؤيدة .

*وإذا كنا أميل إلى قصر الترجمات التى تمت فى عهد خالد بن يزيد على مجال الطب والكيمياء والفلك فإن ذلك لا يعنى أن هذه المترجمات قد خلت تماما من كل أثر للفلسفة بمعناها العام ، فقد انطبعت العلوم قديما بطابع الفلسفة ، وخضعت لهيمنتها ، حيث كانت الفلسفة هى أم العلوم ، والوعاء الذى يضم العلوم كلها : نظرية وعملية ، وقد ظهر هذا التصور الجامع للفلسفة على نحو واضح منذ أرسطو[١١٧] ثم انتقل هذا التقليد إلى الفلسفات من بعده، ومنها الفلسفة الإسلامية ، وظل الأمر على ذلك حتى بدأت العلوم تنفصل تدريجيا عن الفلسفة ، وتستقل عنها بظواهرها ومناهجها ، وبناء على التصور القديم للفلسفة كانت للفلسفة صلاتها الوثيقة بالعلوم على اختلافها ، ومنها علم الكيمياء ، التى عنى خالد بترجمتها . ومن أمثلة هذا الترابط أن فكرة تقسيم الأجسام إلى ذرات أو جواهر فردة هى فكرة فلسفية ، توجد لدى أصحاب المذهب الذرى كديمقريطس وغيره ، وليست هذه الفكرة بعيدة عن

---

(١١٦) الفهرست ٣٣٧ وينازع كراوس فى الأمرين جميعا ، فهو يرى أن الذى قام بالترجمة هو مقفع آخر ، لعله محمد بن عبدالله بن المقفع الذى يحتمل جدا ، فى رأى كراوس ، أن يكون ابنا لعبد الله بن المقفع المعروف ، ثم يرجح كراوس بناء على النقد الداخلى للنص المترجم ولبعض المصطلحات الواردة فيه أن الترجمة تمت عن اليونانية لا عن الفارسية ، راجع مقاله : التراجم الأرسطالية المنسوبة إلى ابن المقفع، وهو منشور ضمن : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، الصفحات ١٠٥ - ١٠٧، ١١١ - ١١٣ وقارن مناهج البحث للنشار ص ٢١ .

(١١٧) انظر مثلا : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٥/ ١٩٦٦ ص ١١٨، Jean Brun , Aristote et le lycée. P.U.F.4 édition, 1977 . P 27,28.

مباحث الكيميائيين ، وقد كان مما ينسب إلى جابر بن حيان كتاب بعنوان : الجواهر الكبير ، وكان من كتب الرازى الطبيب الفيلسوف : جواهر الأجسام ، وقد كان من بين الذين قبلوا فكرة تحويل المعادن إلى ذهب عن طريق الكيمياء وهو معدود من كبار الكيميائيين ؛ بل من مؤسسى علم الكيمياء التجريبى(١١٨) وللطب علاقة بالفلسفة تتجلى - فى بعض صورها ، كما يقول براون - فى أن الطبيب كان يلقب بلقب الحكيم كما يلقب به الفيلسوف(١١٩) ولم يكن غريبا - فى ظل هذا التقارب - أن نجد من يجمع بين الطب والفلسفة كجالينوس والرازى وابن سينا وابن طفيل وابن رشد وغيرهم، وقد كان الطب-على كل حال - بابا من الأبواب التى دخلت منها الفلسفة إلى العالم الإسلامى،كما كان سببا من أسباب تشجيع حركة الترجمة فى عصر الدولة العباسية،حين اتصل الأطباء بكبار الخلفاء ، ورغّبوهم فى نقل الكتب الطبية ، وقد حدث ذلك مع المنصور والرشيد والمأمون وغيرهم من الخلفاء(١٢٠) .

وبسبب التقارب بين هذه العلوم والفلسفة لا يستبعد أن تتضمن الكتب المترجمة فى الكيمياء والطب لخالد بعض الأفكار الفلسفية ، وفى ذلك يقول براون : إنه يجب أن نقر بأن ترجمات الكيمياء التى تمت فى عهد الأمير الأموى خالد ، قد احتوت على موضوعات أخرى فى الفلسفة والطب وأمثالهما ، إلى جانب الكيمياء موضوعه المفضل(١٢١) .

---

(١١٨) انظر مثلا : الفهرست : ٥٠١ ، والقفطى ١٨١ ، وفى تراثنا العربى الإسلامى ١٣٢ وزيجريد هونكه : فضل العرب على أوربا ، ترجمة د/ فؤاد حسنين على ، دار المعارف ، ط ٢/ ١٩٦٩ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١١٩) انظر : الطب العربى ص ١٢ .

(١٢٠) انظر مثلا : القفطى : إخبار : ٥٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٩ و١١٧ وما بعدها ، ١٣٠ وما بعدها ، ١٧٣ ومواطن أخرى .

(١٢١) الطب العربى ص٢٣ .

*ويبقى – من حديثنا عن خالد بن يزيد – أن نشير إلى ما نسب إليه من تأليف بعض الرسائل والكتب فى هذه العلوم التى تحدثنا عن إشرافه على ترجمتها، وقد اختلفت آراء الذين كتبوا عنه من القدامى – فى هذه المسألة – اختلافا واضحا ، وتراوحت آراؤهم بين الإثبات ، والشك ، والاستبعاد ، والنفى الجازم القاطع ، وقد كان على رأس المثبتين ابن النديم الذى يقول عن مؤلفاته فى علم الصنعة ، « وله فى ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير فى هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه : كتاب الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبيرة ، كتاب الصحيفة الصغيرة ، كتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة »(١٢٢) ويتفق ابن خلكان مع ابن النديم حيث يقول « وله كلام فى صناعة الكيمياء والطب، وكان بصيرا بهذين العلمين ، متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، ... وله فيها (الكيمياء) ثلاث رسائل ، تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس ... وصورة تعلمه منه ، والرموز التى أشار إليها»(١٢٣) .

وممن ذهبوا إلى الشك فى نسبة هذه المؤلفات إليه ، بل فى تحصيله لعلم الكيمياء ، ومعرفته بأسراره ، الطبرى الذى حكى الخبر بصيغة التضعيف

---

(١٢١) الطب العربى ص٢٣ .

(١٢٢) الفهرست : ٤٩٧ ، ٤٩٨ ومما يدعو إلى التردد فى قبول هذا الخبر أن صياغة العلوم العربية وقواعدها باستخدام الشعر التعليمى لم تكن قد نشأت بعد لأن العلوم نفسها كانت فى طور التأسيس ، ولذلك يبعد أن تصاغ العلوم المترجمة – بما فيها من مصطلحات وأسماء ليست مألوفة – فى أسلوب شعرى ، وربما كان الذى رآه ابن النديم مما تُرجم لخالد لا ما كتبه خالد نفسه . هذا ، ويوافق صاعد الأندلسى ابن النديم فى مضمون حديثه عن خالد وكتابته فى الطب والكيمياء وهو يجعله ضمن أطباء العرب انظر طبقات الأمم : ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١٢٣) وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٤ ، وانظر كذلك : البداية والنهاية ٩/٦٠، ١٩٧،

والتمريض حيث قال عنه « وكان يقال إنه أصاب عمل الكيمياء »(١٢٤) .

ولعل الجاحظ كان من بين الذين استبعدوا أن يكون لخالد اسهام فى هذا العلم أو تأليف فيه ، وقد وردت لديه عبارة موجزة تشير إلى هذا الاستبعاد ، حين قال : « ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟! »(١٢٥) وكان ابن الأثير أكثر حسما من الطبرى والجاحظ حين قال « يقال إنه أصاب عمل الكيمياء ، ولا يصح ذلك لأحد »(١٢٦) أما ابن خلدون فقد استبعد اشتغاله بالكيمياء أو تأليفه فيها ، وقد ذكر الأسباب التى دعته إلى ذلك ، وهى مرتبطة – من جهة – بنظريته فى البداوة والحضارة ، والانتقال من كل منهما إلى الأخرى ، تبعا لما يمكن تسميته بالقوانين الاجتماعية أو ما أسماه قوانين العمران . ثم هى مرتبطة – من جهة أخرى – بنظرته إلى صناعة الكيمياء نفسها ، ويتضح الجانب الأول فى قوله « وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها (الكيمياء) لخالد بن يزيد بن معاوية ، ربيب مروان بن الحكم . ومن المعلوم البين أن خالدا من الجيل العربى ، والبداوة إليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة ، فكيف له بصناعة غريبة المنحى ، مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها ؟!» ثم أضاف إلى ذلك سببا آخر ، لا يقل عن السابق أهمية ، وهو أن « كتب الناظرين فى ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم »(١٢٧) أما الكيمياء عند ابن خلدون

وشذرات الذهب ١/ ٩٦ وكشف الظنون ٢/ ١٥٣١ ، ١٥٣٣ .

(١٢٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٢ .

(١٢٥) الحيوان : تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون – القاهرة : ١٩٣٨ ٧٦/١ وانظر : د/ عمر فروخ : بحوث ومقارنات .. مرجع سابق ص ٧٤ .

(١٢٦) الكامل ٤/ ١٢٥ .

(١٢٧) المقدمة : ٢٧٤ وهذا هو الرأى الذى انتهى إليه بعض المستشرقين انظر : د/ عمر فروخ : بحوث ومقارنات : ٧٧ ، ٧٨ . وهو ما يرتضيه د/ فروخ أيضا وقارن د/ رشيد الجميلى : حركة الترجمة والنقل .. ص ٦٠ –٦٢حيث يعتمد على نصوص ابن النديم فى إثبات صلته بالعلوم القديمة : ترجمة وبحثا ، واصفاً الآراء =

فهى أقرب إلى السحر ؛ لأنها تخليق للمواد ، فى غير مادتها الأصلية ، وقد انكر ثمرتها ، وتحدث عن استحالة وجودها ، وبيّن ما ينشأ من المفاسد عن انتحالها(١٢٨) .

ولعل رأى ابن خلدون هو أكثر الآراء جدارة بالقبول فى هذه المسألة ، ويمكن أن نضيف إلى ما قدمه من أسباب ما أشرنا إليه من قبل من أن المؤلفات العربية نفسها كانت – فى وقت خالد – ما تزال فى بداية مراحلها الأولى ، وهناك من النصوص التاريخية ما يرجع بها إلى ما بعد خالد بكثير(١٢٩) ، ومن ثم فمن المستبعد أن يقوم عربى ، بالتأليف فى علوم أجنبية ، ما تزال هى الأخرى فى الطور الأول من أطوار ترجمتها ، ثم هى – فى ذلك الوقت البعيد – لم تكن علما خالصا، بل كانت قد اختلط فيها العلم بالسحر والكهانة والألغاز، مما يجعل تحصيلها والفهم لها – فضلا عن التأليف فيها – محتاجا إلى زمن طويل.

* وهكذا نكتفى بما قيل من عناية خالد بالترجمة وإنفاقه على المترجمين، وهذا ليس بالشيء الهين أو القليل بالنسبة لحركة الترجمة . ويكفيه أن الترجمة قد انتقلت على يديه إلى الإمام خطوة واسعة ، وأنها صارت – بجهوده – شيئا لا يصح تجاهله ، حتى إن الذين يبدأون حديثهم عن الترجمة

المخالفة مجرد تكهن ، ليس عليه دليل . !!.

(١٢٨) انظر : المقدمة : ٤٨١ ، ٤٩١ – ٤٩٧ ، ويبدو – مع ذلك – أن ابن خلدون قد أصابته الحيرة من نسبة الكتب والرسائل فى الكيمياء إلى خالد ، فذكر احتمالا – وإن يكن بعيدا – وهو أنه ربما كان هناك خالد بن يزيد آخر ، يتشابه مع خالد بن يزيد بن معاوية فى الاسم ، وكان ذلك التشابه سببا فى نسبة كتب أحدهما للآخر ، انظر: المقدمة ٤٧٤ .

(١٢٩) قيل مثلا عن عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج إنه أول من صنف الكتب فى الإسلام ، وقد كانت وفاته ما بين ١٤٩ – ١٥١هـ ويذكر معه ابن أبى عروبة الذى توفى ١٥٦ ، انظر مثلا : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، مكتبة الخانجى

بالدولة العباسية يشيرون فى الغالب إليه ، هذا ، مع ملاحظة حصر الترجمة فى نطاقها المحتمل أو المعقول دون توسع أو مبالغة ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

*على أنه لا ينبغى – كذلك – المبالغة فى تقدير دور خالد فى نشأة العلوم العربية أو الثقافة الإسلامية ، على نحو ما نجد لدى بعض الدراسين ، ومن أمثلة ذلك ما يقال من أن خالداً كان « أول من أضاء شعلة العلم عند العرب » وهى مبالغة مقرونة بمبالغة أخرى ، تتعلق بالعلوم العربية الإسلامية بصفة عامة ، حيث يقال عنها « لقد شهد هذا القرن (= الأول الهجرى) نشأة العلوم العربية التى جاء معظمها عن طريق الترجمة »(١٢٩/) وقد أضاءت شعلة العلم عند العرب المسلمين منذ عهد الصحابة ، الذين وُضِعتْ على أيديهم – وبتأثير من القرآن الكريم والسنة النبوية – بدايات العلوم العربية والشرعية ، ثم نمت نموا طبيعيا على أيدى الأجيال التى جاءت من بعدهم(١٢٩//) وقد نهل خالد نفسه من هذه العلوم ، حتى صار من أعلم قريش بهذه العلوم التى قام بتحصيلها كما كان يحصلها طلاب العلم فى العصر الذى كان يعيش فيه ، وحسبه أنه قد اختط طريقا جديدا يتعلق بالترجمة ، وهو طريق كان أحد رواده إن لم يكن الرائد الأول فيه (١٢٩///) .

(١٢٩/) د/ رشيد الجميلى : حركة الترجمة والنقل .. ص ٥٥ ، ٥٩ وانظر ١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٧٣ .

(١٢٩//) انظر مثلا : الفهرست لابن النديم ص٤٢ وما بعدها ، ٥٩ وما بعدها ،١٣١ وما بعدها إلخ ومقدمة ابن خلدون ص ٤٠٠ وما بعدها فى الحديث عن العلوم الشرعية إلى ٤٥١ .

(١٢٩///) أما القضية الثانية المتعلقة بتأثير حركة الترجمة فى نشأة العلوم العربية فقد سبق لنا أن ناقشناها من قبل فى مقام آخر ، انظر : فى الفكر الفلسفى الإسلامى : مقدمات وقضايا ص ٢١ وما بعدها إلى ٦٠ ، ثم ٩٣ – ١١٩ . وانظر كذلك رأيا أكثر انصافا واتزانا لدى د/ الجميلى نفسه ص ١٨٤ – ١٨٦ .

٣- أ - وقد جاءت بعض الترجمات ، فى مكان آخر ، فى وقت مقارب للوقت الذى تمت فيه الترجمات لخالد بن يزيد ، ومن أهم هذه الترجمات ما وقع منها فى مصر أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان(١٣٠) الذى كان يحكمها من قبل أخيه الخليفة عبد الملك ، وقد كان عبد العزيز معنياً بالتعرف على أحوال أهلها ، لاسيما علاقة كنيستهم بالنوبة والحبشة ، ويذكر ساويرس بن المقفع ، فى كتابه الهام ، عن سير الآباء والبطاركة أن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان كان يلى كثيراً من أمور مصر فى ولاية أبيه ،وأنه كان يهيىء نفسه لخلافة أبيه بعد مماته(١٣٠/) ، ويصفه ساويرس بالبغض للنصارى ، كما يصفه بالقسوة والسوء وسفك الدماء ، حتى إنه ليشبِّهه بالسباع الضارية، وقد اتصل به وانحاز إليه على حساب أهل ملته من النصارى «شماس اسمه بنيامين ، فكان يعمر له (؟)وكان يحبه أكثر من جماعة أصحابه ، و يظهر له أسرار النصارى بسعايته ، حتى إنه فسّر له الإنجيل بالعربى ، وكتب القيامة، وكان يبحث عن الكتب لتقرى(لتقرأ) عليه ، وكذلك الارطستكات ، كان يقرأها ، لينظر هل يشتموا (كذا) فيها من المسلمين أم لا ، ولم يكن يتخلى عن سوء معاملته مع النصارى ....، واضطر

---

(١٣٠)كانت وفاته سنة ٨٥أو ٨٦هـ ، ومات قبل أخيه عبد الملك ، الذى توفى سنة ٨٦هـ انظر الكامل ٥١٣/٤، ٥١٤، وشذرات الذهب : ١/ ٩٧ويقال إنه كان له مؤدب مسيحى يدعى اثناس ،وقد رافقه إلى مصر بعد ولايته عليها ، انظر سير توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن ، د/ عبد المجيد عابدين ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ص٨١، ٨٢ .

(١٣٠/)يقول عنه ابن قتيبة إنه كان « عالماً بخبر مايكون ، وهلك بمصر قبل أبيه » ولعله يقصد بعلمه بخبر ما يكون ما ينسب إليه من أنه نظر إلى أخيه عمر بن عبد العزيز لما ضربته دابة فى وجهه فقال : الله أكبر هذا أشجُّ بنى مروان الذى يملك » المعارف ص٣٦٢.

جماعة إلى أن أسلموا ... »[131] ويبدو أن الأصبغ قد رحّب بقيام بنيامين بترجمة بعض الكتب الدينية كالإنجيل وغيره ،رغبة منه فى التعرف على عقائد النصرانية ، ولعل ذلك قد وقع بتأثير الخلاف بين المسلمين الذين جاءوا إلى مصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وبين الذين لم يدخلوا فى الإسلام من المصريين الذين استمروا على ديانتهم المسيحية ، دون أن يكرههم الإسلام على تركها، وقد ظهر الخلاف فى صورة جدل دينى، يقوم به علماء المسيحية أحياناً،ومن نماذج هذا الجدل ما وقع فى دمشق على يد يوحنا الدمشقى الذى كان من كبار موظفى الإدارة فى عهد عبد الملك بن مروان ، أى فى الفترة موضوع الدراسة، وقد كتب كتباً يدافع فيها عن العقيدة المسيحية ، ويعلّم الذين يؤمنون بها طرق مجادلة المسلمين ، ومن بين كتبه كتاب يقول فيه : إذا قال لك العربى (المسلم) كذا فقل له كذا، وقد جاء فيه التساؤل عن الكلمة وأزليتها أو حدوثها ، بغية الوصول إلى القول بأزلية عيسى وألوهيته[132] وظهر ذلك

(131)ساويرس ابن المقفع :كتاب سير الآباء البطاركة ، طبع باريس 1904م 143/1والنص مليء بالأخطاء اللغوية ، ومن ذلك قوله عن الأصبغ «وكان يظن أنه يجلس عوض أبوه »، وقوله «وكان مبغض للنصارى» ، ولعل السبب فى ذلك أنه من أوائل الكتب التى كتبها أحد المسيحيين المصريين باللغة العربية . انظر المسيحية والحضارة العربية ص199، ومن الواضح أنه يحمل على الأصبغ حملة شعواء بسبب ما كان يسعى إليه من نشر الإسلام فى مصر ،ومن أجل ذلك جاءت حملته على أخيه عمر بن عبد العزيز أيضاً . انظر : د/ سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، النهضة العربية ط1970/2ص179وانظر تعليقها على هذا القول باضطهاد النصارى فى الصفحات التالية 180وما بعدها .وانظر كذلك الدعوة إلى الإسلام : ص81-88وقارن ص94وما بعدها ، ويلاحظ أن كلمة التفسير فى النص يراد بها الترجمة ، وقد أشرنا فيما سبق إلى سوابق مماثلة .

(132)انظر الدعوة إلى الإسلام : ص103.والمسيحية والحضارة العربية 96-98، وقد كان ساويرس بن المقفع نفسه من بين الذين كتبوا فى جدال المسلمين انظر السابق ص201ولذلك فإنه ليس مؤرخاً فحسب ، بل إنه يمكن اعتباره صاحب موقف أيضاً إن لم نقل إنه كان خصما .

الخلاف فى صورة أفعال يقوم بها بعض أتباع الإسلام أو المسيحية من وقت لآخر ،ومنها ما يقال من أنه فترة ما ، من حكم عبد العزيز بن مروان لمصر تغير قلبه على النصارى وامتدت يده بالأذى إليهم ، وكان مما فعله ، عندئذ إنه كتب عدة رقاع جعلها على أبواب البيع بمصر والريف يقول فيها « محمد أعظم رسل الله ، وعيسى أيضاً رسول الله، والله لم يلد ولم يولد »(١٣٣) ، وقد كان ذلك متوقعاً بسبب الاختلافات فى العقيدة بين الإسلام و المسيحية؛ ولكن لم يمنع هذا الفارق من أن يحترم كل فريق عقيدة الفريق الآخر ، وأن يتاح لأهل الكتاب الحياة المدنية المشتركة فى ذمة الإسلام ، ورعاية حقوقهم الأساسية وممارسة طقوسهم الدينية»(١٣٤) وربما كانت ترجمة الإنجيل من العوامل التى تساعد على فهم كل من الطرفين للآخر ،ومعرفة نقاط الخلاف الجوهرية بينهما ، وتحديد موقف كل منهما من الآخر دون غموض ، ولقد يدل على ذلك – فيما نحن بصدده – أن الأصبغ كان – فيما يقول ساويرس– يبحث عن الكتب لتقرأ عليه، وكان يبحث فيها لينظر هل تتضمن إساءة للمسلمين أم لا(١٣٥).

(١٣٣)انظر : منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ، مكتبة المحبة ١٩٨٣م ص٣١١وقارن ما أورده سير توماس ارنولد من أن النصارى الذين كانوا يعملون فى إدارة عبدالعزيزطلبوا منه أن يأذن لهم ببناءكنيسة أو كنيستين فى حلوان ، مع أنها من المدن التى أسسها المسلمون ، وقد وقفت إحداهما على القديس يوحنا ، انظر الدعوة إلى الإسلام ص٨٥.

(١٣٤)المسيحية والحضارة العربية : ص٢٠وقد اكتفينا بهذا النص عن نصوص أخرى كثيرة تتفق معه فى معناه وفى وجهته .

(١٣٥)تقول د/ سيدة الكاشف، تعليقاً على خبر ترجمة الإنجيل وبعض الكتب : إن الترجمة من القبطية إلى العربية كانت تهدف إلى « التعرف على ثقافة المصريين وحضارتهم وطرق تفكيرهم » انظر : عبد العزيز بن مروان ، سلسلة أعلام العرب ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ص١٤٣ويمكن القول بأن هذا الهدف صحيح فى الجملة ، ولكنه يتحقق عن طريق ترجمة الكتب التاريخية أو الأدبية أو نحوها ، أكثر =

ب- على أن الخبر الذى ساقه ساويرس حول هذه الترجمة يثير عدداً من التساؤلات ، فهو لا يحدد لنا اسم الإنجيل الذى ترجم، ولا يحدد لنا اسم صاحبه، وإذا كان من بين الأناجيل الأربعة التى اعتمدتها المجامع الكنسية ، وهى إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا فما الذى ترجم من بينها على وجه التحديد ؟ وهل كانت الترجمة عن اليونانية أو السريانية أو القبطية أو غيرها ؟ ، وما هو موقف الكنيسة المصرية من هذه الترجمة ، وهل رضيت عنها واعتمدتها أو رفضتها وغضبت على صاحبها ؟ وما مدى الدقة التى تحققت لها ؟ وهل كانت تامة أو جزئية ،باللفظ أو بالمعنى؟ ثم ما المقصود بكتب القيامة التى تمت ترجمتها؟ وهل يقصد بها رؤيا يوحنا اللاهوتى[١٣٦] أو شىء آخر غيرها؟ ولماذا اختيرت - دون سواها - من بين كتب ورسائل العهد الجديد لتتم ترجمتها ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التى تكشف الإجابة عنها كثيراً من الملابسات التى تحيط بهذه الترجمة ، ومدى تحقيقها للأهداف التى تمّت من أجلها .

جـ-ومن الدلالات الهامة التى تشير إليها هذه الترجمة التى قام بها بنيامين أن النص يتحدث عن ترجمة للإنجيل وكتب القيامة ، وهى من أجزاء العهد الجديد ، ولا يتحدث عن ترجمة شىء من العهد القديم كالتوراة أو الأسفار

= مما يتحقق عن طريق ترجمة الإنجيل ، أو كتب القيامة ونحوها ؛ لأن هذه الكتب تعرض العقيدة المسيحية ولا تعرض ثقافة المصريين .

(١٣٦) لعلها رؤيا يوحنا اللاهوتى ؛ لأن فيها من الحديث عن القيامة وبعض علاماتها، ونهاية العالم وتبدله ،وعذاب أهل النار ولاسيما إبليس ،ونعيم أهل الجنة ونحو ذلك ما لا يوجد فى غيرها من كتب وأسفار ورسائل العهد الجديد . راجع رؤيا يوحنا اللاهوتى ، ضمن العهد الجديد ، المطبوع مع العهد القديم ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة - ١٩٧٠ ص ٣٩٥ - ٤٢٢ وانظر د/على عبدالواحد وافى :الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الإسلام . دار نهضة مصر ،القاهرة ١٩٧١ص ١٠٤،١٠٥.

التاريخية أو نحوها[137] مع أن العهد القديم ليس مقدساً عند اليهود وحدهم ، بل هو مقدس عند النصارى أيضاً ،وهو مصدر من مصادر شريعتهم ؛ لأن السيد المسيح – عليه السلام – لم يأت لينقض الناموس أو الأنبياء ، بل جاء ليكمل[138].

وتأتى ترجمة الإنجيل وحده ، دون التوراة أو شيء من العهد القديم متسقة ومتوافقة مع الواقع التاريخى ، الذى يدل على أن الكتابين قد ظلا منفصلين ، على الرغم من هذه الصلة الوثيقة التى أقامها السيد المسيح نفسه ، بين شريعته وشريعة موسى عليه السلام ، بحيث لم يتم جمعهما فى كتاب واحد إلا فى وقت متأخر ، وكان للطباعة الحديثة أعظم الفضل فى هذا الجمع ، حيث كان الكتابان ضمن أول الكتب المطبوعة[139] .

وقد أفاد المسيحيون من جمع الكتابين معاً ؛ لأن ذلك أتاح لهم الاطلاع

(١٣٧) انظر المرجع السابق ١٤-١٨

(١٣٨) يرجع فى بيان هذا إلى إنجيل متى ١٧/٥ بولوقا ١٧/١٦ وروميه ٣١/٣ ،والرسالة إلى غلاطية ٢٤/٣ ومواطن أخرى

(١٣٩)تمت الطبعة الاولى للكتابين فى القرن السادس عشر تحت عنوان la bible وتعنى مجموع النصوص المقدسة فى الدين اليهودى والمسيحى . وتتكون من قسمين كبيرين : أحدهما : العهد القديم وثانيهما . العهد الجديد . ويختلف كل من اليهود والنصارى فى تحديد ما هو مقدس لديهم . وقد تمت طباعتهما بمبادرة من الكاردينال ximénès اسقف طليطلة الإسبانية (ت١٥١٧) وقد انتهت طباعة الإنجيل منذ سنة ١٥١٤ ، على حين لم تتم طباعة التوراة إلا سنة ١٥٢٠ ، واحتل الإنجيل الجزء الخامس من هذه الطبعة ، وكانت طباعتهما عن نص يونانى ، سواء فى ذلك التوراة أو الإنجيل ، انظر- Cullmanne,oscar: le nouveau testament. P.U .F f1er ẽdtion ,1966.p13

ومن الواضح أن كلاً منهما قد بدئ فى طباعته وحده ، ثم تم إدماجهما بعد ذلك .

على التوراة التى تعد من مصادر شريعتهم ، ولكن الفائدة الكبرى قد تحققت لليهود ، على الرغم من إنكارهم لرسالة عيسى ، واستعدائهم السلطات الرومانية عليه ، وتشجيعهم لها على التخلص منه ، ومطاردتهم لأتباعه وحوارييه بكل ما أُوتوا من قوة ، وقد كان من بين النتائج البالغة الأهمية والخطر لهذا الجمع أن تاريخ اليهود المدونَ فى أسفار العهد القديم ، بما فيه من نبوءات ،لم يعد خاصاً بهم ، بل إنه أصبح – كما يقول بعض الدارسين – موضع الاعتبار من فريق المؤمنين بالمسيحية ؛ لأنه يمثل خطة إلهية (!!) تحققت (فى الماضى) وتتحقق (فى الحاضر) وستتحقق (فى المستقبل) فى خط تاريخى ، اختاره الله نفسه(١٤٠) ويعنى ذلك أن التصورات والأفكار ووقائع التاريخ التى أودعها اليهود كتبهم – على امتداد تاريخهم ، والتى هى شديدة الارتباط بواقعهم أكثر من ارتباطها بالوحى الإلهى – لم تعد مختصة باليهودوحدهم، بل إنها أصبح لها هذه المكانة نفسها عند المسيحيين أيضاً ، ومن ثم يكتسب تاريخ اليهود وآمالهم ، بل ومطامعهم صفة القداسة ، وبناء على ذلك يصبح المسيحيون مكلفين – من منطلق دينى – بتحقيق ما جاء فى كتب العهد القديم من « وعود» مبثوثة فى ثناياها(١٤١) وذلك بمقتضى ما يقرأونه فى كتاب ذى قسمين ، لا تقل قداسة القسم الأول منه ،وهو العهد القديم ، عن القسم الثانى وهو العهد الجديد ، الذى هو الأصل فى الاعتقاد المسيحى ، مع أنه لا يتضمن من هذه الوعود شيئاً؛ بل على الرغم مما يتضمنه من خلاف مع اليهود واتهام لهم بتحريف الشريعة ومخالفتها .وبهذا تتحول الثقافة الدينية ، والنبوءات التوراتية إلى مشروعات سياسية،

---

(١٤٠) Ibid,124,125

وقد وضعنا الزمن بين قوسين لزيادة إيضاح المعنى .

(١٤١)انظر مثلاً سفر التكوين ١٣، ١٤، ١٥، وإصحاح ١٨/١٥، ١٩ ، وإصحاح ١/١٧-١١، إصحاح ١/٢٦-٣، ٣/٢٨-٥، سفر التثنية ١/٦-٨، ٢٤/١١ ومواطن أخرى .

وطمـوحات توسعيـة ، يجرى الإقناع بهـا ، وتهيئـة الأذهان لهـا منذ زمن بعيد(١٤٢) ونكتفى بهذه الإشارة الموجزة عن تفضيل كثير لا يتسع له المقام فى نطاق هذا البحث المخصص لجزء من تاريخ حركة الترجمة فى العالم الإسلامى.

د–وتكمن أهمية هذه الترجمة فى أنها ربما كانت هى المرة الأولى التى تتم فيها ترجمة الإنجيل إلى العربية ،ويتفق هذا مع ما انتهى إليه بعض المستشرقين الذين عنوا بالبحث فى هذه المسألة ، حيث اتجهوا إلى القول بأنه لم توجد ترجمة عربية للإنجيل منذ ما قبل الإسلام حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين(١٤٣) بل يذهب بعضهم إلى أنه لم تظهر ترجمة للإنجيل إلا بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بقرون عديدة ، ويقول أحدهم : إنه – رغم البحوث المضنية – لم يتمكن من الرجوع بتاريخ أقدم ترجمات العهد الجديد باللغة العربية إلى أبعد من القرن الحادى عشر(١٤٣/) .

ومما يؤيد هذا الرأى أن العرب كانوا أمة أمية ، وأن عدد من يكتبون بالعربية من بينهم كانوا قلة قليلة يذكرهم بعض المؤرخين بأسمائهم أحياناً ، وإذا كان العدد على هذه القلة فى الحواضر الكبرى كمكة وغيرها فإن لنا أن نتوقع أن تكون الأمية فى البوادى أكثر ؛ بسبب افتقاد أهلها إلى الاستقرار ، واضطرارهم إلى الرحلة والتنقل ، طلباً للرزق وبحثاً عن الماءوالمرعى ، ولقد تدين بعض العرب بالنصرانية(١٤٤) وكان بعض هؤلاء فى أرض الحجاز التى هى مهد الإسلام ،

---

(١٤٢)راجع فى هذا الصدد دراسة قيمة للدكتور يوسف الحسن ، بعنوان : دراسة فى الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية ، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ط١٩٩٠/١، وانظر على سبيل المثال: الصفحات ١١، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٨-٣٤،٤٥-٤٩، ٧١،٧٦، الخ .

(١٤٣)انظر د/ محمد مصطفى الأعظمى : دراسات فى الحديث النبوى ،طبعة الرياض ١٩٨١جـ٤٥/١،٤٦ .

(١٤٣/) انظر: د/ محمد عبدالله دراز:مدخل إلى القرآن الكريم،ترجمة محمد عبدالعظيم على، دار القرآن الكريم، دار القلم،الكويت،ط١٩٧١/١ص١٤١وهامش (١)بها.

(١٤٤)انظر :اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب) تاريخ اليعقوبى ، دار صادر – بيروت =

ولكن هؤلاء كانوا قلة قليلة ، ثم كانوا فضلاً عن ذلك لا يمثلون المسيحية تمثيلاً لائقاً بها ، لامن ناحية المستوى الاجتماعي ، ولا من ناحية الثقافة ، وقد كان أكثر هؤلاء من العبيد والمغامرين والتجار وبائعي النبيذ والخدم الذين جاءوا للخدمة ، وللقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة(١٤٥) ولم تكن ترجمة الإنجيل لهؤلاء تمثل ضرورة ملحة أو عملاً يستحق العناء ، الذي يبذل فيه»،ولقد كان على الذين يريدون أن يحصّلوا معرفة أعمق بالنصرانية أن يتعلموا لغة من اللغات التي كُتب الإنجيل بها ،كاليونانية أو السريانية أو العبرية أو نحوها ، وينطبق هذا -مثلاً- على ورقة بن نوفل الذي كان « أمرأ تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ...»(١٤٦) وربما وجدت بعض النقول التامة أو الجزئية لشيء من التوراة أو الإنجيل(١٤٧) . ولكن الطابع العام للمسيحية التي التقى بها الإسلام في بلاد العرب أنها كانت « مسيحية .. يمثلها تقليد شفهي ، منطبع انطباعا قويا بالأناجيل المنحولة »(١٤٨) .

ويمكن القول - استنادا إلى ذلك كله - أنه ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي نلتقي فيها بما يشير إلى ترجمة كاملة للإنجيل أو لأحد الأناجيل ، وهي التي تمت في مصر على يد بنيامين ، كما يقول ساويرس بن المقفع وهذا يعطيها أهمية كبرى في سياق حركة الترجمة، من حيث تاريخها ، ومن حيث مجالها الذي تأخرت الترجمة فيه وقتا طويلا ، كما يقول الباحثون .

=.د.ت ٢٥٧/١ والشهرستاني (عبد الكريم): الملل والنحل بهامش الفصل لابن حزم، المطبعة الأدبية ١٣١٧هـ ، جـ٢٢٣/٣ وانظر د/ قنواتي المسيحية والحضارة العربية ص٦٠ وما بعدها .

(١٤٥) انظر: د/قنواتي : المسيحية والحضارة العربية ٨٠- ٨٣ .

(١٤٦) صحيح البخاري : باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧/١.

(١٤٧) انظر: مثلاً : د/ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت ط١٩٨٣/٤ ص٢٧١،٢٧٢ وهامش ١ بها .

(١٤٨) انظر: د/ قنواتي : المسيحية ...ص١٢٤.

٤- فإذا تقدمنا نحو أواخر الدولة الأموية فسنجد أن المصادر والمراجع تحدثنا عن وقوع بعض الترجمات فى عهد هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ)[١٤٩]. وقد جاءت هذه الترجمات فى فروع مختلفة، منها التاريخ، حيث كان فى مكتبة هشام كتاب يروى تاريخ الساسانيين، ويتحدث عن طرقهم فى الحكم، وعن علومهم وقد ترجم إلى العربية فى أيامه[١٥٠] ومنها الفلك الذى تُرجم فيه كتاب يتحدث عن تحويل سنى العالم، وما فيها من الأحكام النجومية[١٥١] ووجدنا أحد النقلة من اللسان الفارسى إلى العربى كما يقول ابن النديم[١٥٢] وهو جبلة بن سالم كاتب هشام، يقوم بترجمة كتب فى السير والأسمار المعقولة، التى لا تجرى مجرى الخرافات، ومنها كتاب: رستم واسفنديار، وكتاب بهرام شوس[١٥٣] وكان من أهم ما ترجمه كما يقول ابن النديم أنه « نقل من رسائل أرسطاليس إلى الإسكندر، ونقل له، وأصلح هو رسائل، مجموعها نحو مائة ورقة »[١٥٤].

---

(١٤٩) انظر المعارف لابن قتيبة ص٣٦٥.

(١٥٠) انظر: ر. ليفى: مقالة فارس والعرب، ترجمة د/ محمد كفافى، نشر ضمن تراث فارس بإشراف الأستاذ اربرى، طبع دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩ص٩٢: ويمكن القول بأن هذا الاهتمام بالتاريخ يعد امتداداً لعناية بنى أمية بالتاريخ منذ معاوية، انظر خبره مع عبيد بن شرية فى مروج الذهب ٢٥٩/٢، ٢٦٠، والفهرست لابن النديم ص١٣٢.

(١٥١) انظر: كارلو نلينو، علم الفلك: تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى، طبع روما ١٩١١ص١٤٢، ١٤٣، ويلاحظ أن الكتاب ينسب إلى هرمس الحكيم، وهو أقرب إلى الشخصيات الأسطورية، وتقول بعض الأراء القديمة إنه هو إدريس عليه السلام، ويتحدث بعضهم عن ثلاثة هرامس، والمهم لدينا أن الكتاب ترجم على كل حال، وانظر عن هرمس: القفطى: ٢-٦ وابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ١١، ١٢، وعيون الأنباء ١٢، ١٨، ٣١-٣٣ ومواطن أخرى.

(١٥٢) الفهرست: ٣٤٢. (١٥٣) الفهرست: ٤٢٤.

(١٥٤) الفهرست: ١٧١.

ولعلها المرة الأولى التى يذكر فيها اسم أرسطو بمناسبة ترجمة شيء له ، ويلاحظ أن الترجمة قدتمت عن طريق اللغة الفارسية ، وليس عن طريق اللغة اليونانية أو السريانية ، وهما اللغتان اللتان سينقل عنهما مجمل التراث اليونانى إلى اللغة العربية ، فيما بعد ، ويمكن تفسير ذلك بأن بعض التراث اليونانى قد انتقل إلى الفرس ، ضمن حركة التبادل الثقافى ، التى كانت تتم بينهما ، على الرغم مما كان بينهما من حروب ، ونشط تأثر الفرس بالثقافة اليونانية فى عهد كسرى أنوشروان ، الذى كان معنياً بالعلم شغوفاً به ، وقد اتخذ لنفسه أساتذة يثقفونه ، كان من بينهم الفيلسوف الطبيب اليونانى أورانيوس ، الذى كان يقرأ له كتباً فى الفلسفة ، وقد آوى كسرى عدداً من الفلاسفة ، الذين لجأوا إليه بعد إغلاق مدرسة أثينا سنة ٥٢٩م(١٥٥) ويقول ابن النديم فى ذلك « وقد كانت الفرس نقلت فى القديم شيئاً من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية ...»(١٥٦) ولذلك كان من الممكن أن تتم ترجمةبعض التراث اليونانى عن الفارسية .

وقد احتفظت لنا بعض كتب الوصايا والحكم بشئ من رسائل أرسطو ، ووصاياه إلى الإسكندر الأكبر ، الذى كان تلميذاً له، ولا يُعْلَم – على وجه اليقين – هل رجعت هذه الكتب إلى تلك الترجمة التى قام بها جبلة أَوْ لا ؟ ولئن كانت هذه الصلة قد وقعت فعلاً ، فإن هذه الاقتباسات الباقية بين أيدينا تقدم لنا دليلاً حياً على الاستمداد من هذا المصدر القديم ، الذى يُعَدُّ من أقدم الترجمات ، التى تمت إلى اللغة العربية ، وإذا كان الكتاب المترجَم نفسه قد

---

(١٥٥)انظر : د/ يحيى الخشاب : فى إسلام الفرس ، وهى مقدمته لكتاب تراث فارس، مرجع سابق : ص٢٢ .

(١٥٦)الفهرست : ٣٣٧ ويبدى الأستاذ / إسماعيل مظهر بعض الشك فى هذا القول الذى يقوله ابن النديم ، انظر : تاريخ الفكر العربى ١٧، ١٨ .

اختفى ،شأنه فى ذلك شأن كثير من الكتب القديمة ،فقد بقى ما يدل عليه ،فى مثل هذه النقول التى رجعت إليه(١٥٧) .

ولا يرد فى حديث ابن النديم عن جبلة بن سالم شىء يتعلق بقيامه بترجمة بعض الكتب المنطقية لأرسطو ، بل إنه نسب ذلك إلى ابن المقفع(١٥٨) وهو الذى يوصف بأنه أول من اعتنى فى الملة الإسلامية بترجمة بعض كتب المنطق لأرسطو(١٥٩) .

٥- تعقيب :

يتضح -مما سبق - أن بعض الترجمات قد أُنجزت فى عهد الدولة الأموية،وقد جاءت هذه الترجمات فى مجالات متعددة كالكيمياء والطب والفلك والتاريخ والسياسة و المعارف الدينية والوصايا الأخلاقية ، ثم كانت هذه الترجمات من لغات مختلفة كاليونانية والسريانية والفارسية والقبطية .

وإذا كانت المصادر والمراجع قد حدثتنا صراحة عن بعض الترجمات ، وعن أسماء الذين قاموا بها ، وعن العصر الذى تمت فيه ،ولو على وجه التقريب ،فإنه ينبغى ألا يكون ذلك مدعاة إلى الاعتقاد بأن هذه هى الترجمات الوحيدة ، التى تمت فى عهد الدولة الأموية ، بل إنه يمكن القول - على الرغم من صمت المصادر - بأن هناك ما يدل على وجود ترجمات أخرى ، وإن لم

---

(١٥٧)انظر مثلاً : المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم ، تحقيق د/ عبد الرحمن بدوى ،طبع المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١٩٨٠/٢ص١٨٩وما بعدها ،١٩٣وما بعدها ١٩٦-١٩٨،٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، الخ .

(١٥٨)الفهرست : ٣٣٧.

(١٥٩)القفطى : إخبار : ١٤٨ ، ١٤٩ ، وراجع رأى كرواس فى هذه المسألة فى موضع سابق من هذه الدراسة (هامش ١١٦).

نعلمها -بذاتها - على وجه التحديد .

أ- فليس من المستبعد - مثلاً - أن يكون عبد الله بن المقفع قد قام بترجمة بعض الكتب فى عهد هذه الدولة ، فقد عاش أكثر عمره فى ظلها(١٦٠) ثم لم تكن الفترة الأولى من حياة الدولة العباسية فترة اهتمام بالعلوم المترجمة ، بل كانت فترة انشغال بتأسيس الدولة وملاحقة خصومها من فلول الدولة الأموية وغيرهم ، ولم يُعْرَف عن أبى العباس السفاح (ت ١٣٦هـ)(١٦١) انشغال بهذا الجانب الثقافى ، بل كان انشغاله بالجوانب السياسية(١٦٢) ، وقد وُصِفَ المنصور، الذى جاء من بعده ، بأنه أول من عنى بالعلوم من بنى العباس ، وكان كلفاً بعلوم الفلسفة ، ولاسيما علم النجوم ، وقد استقدم مهرة الأطباء من جند يسابور.(١٦٣) وقد ترجمت فى عهده كتب

(١٦٠)اختلفت المصادر فى تاريخ ولادته ، ويستخلَص من بعضها أنه ولد عام ١٠٦هـ، وقد رجح بعض المتخصصين فى دراسته أنه ولد عام ٨٠هـ واختلفت الآراء - كذلك - فى تاريخ وفاته ، وهى تقع عندهم فى السنوات مابين ١٣٩- ١٤٥هـ انظر: وفيات الأعيان ١٥١/٢-١٥٥والبداية والنهاية ٩٨/١٠،٩٩، د/ محمد غفرانى الخراسانى : عبد الله بن المقفع : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ص٦٣-٦٥، ١٠٢وانظر ما كتبه ابوار بدائرة المعارف الإسلامية ، طبعة الشعب ، مادة ابن القفع ، وعلى الرواية القائلة بأن ابن المقفع ولد عام ٨٠ يكون ابن المقفع قد عاش فى ظل الدولة الأموية أكثر من نصف قرن . وليس بمستغرب -إذا لاحظنا ذلك - أن يكون كثير من أعمال ابن المقفع أو بعضها - على الأقل - قد وقع فى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، لاسيما إذا قورنت بالفترة القليلة ، التى عاشها فى ظل دولة بنى العباس.

(١٦١)انظر: البداية والنهاية : ٦٠/١٠، ٦٣.

(١٦٢)انظر د/ محمد غفرانى : عبد الله بن المقفع ، مرجع سابق ص٣٥.

(١٦٣)انظر : ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول : ٢٣٥، والقفطى : إخبار ١٧٧و وابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠١/١٠، ١٢٥.

فى الطب[١٦٤] وفى الفلك[١٦٥] كما ترجمت أوائل الكتب المنطقية لأرسطو، وكانت ترجمتها على يد ابن المقفع[١٦٦] ويحتمل أن يكون عهد المنصور هو العهد الذى أنجز فيه ابن المقفع بعض ترجماته أو كثيراً منها ،ولكن من المستبعد أن تكون ترجماته كلها قد تمت فيه ؛لقصر المدة التى عاشها فى ظله[١٦٧] ، وهى لا تزيد عن بضع سنوات ، تقل حتى تصل إلى ثلاث سنوات على الرواية القائلة بأن ابن المقفع توفى سنة١٣٩هـ ، ومما يرجح ذلك أن ابن المقفع قد اشتغل فى الفترة الأخيرة من عمره كاتباً لبعض الولاة ، وكان ذلك من أسباب قتله[١٦٨] وربما صرفه العمل لدى هؤلاء عن التفرغ للعلم أوشغله – على الأقل – عن كتابة شيء كثير فيه ، تأليفاً أو ترجمةً . وتسوقنا هذه المعلومات ، والاحتمالات المرتبطة بها ، والمؤسسة عليها إلى القول بأن الفترة الأخيرة من حياته ربما ضاقت عن إنجاز كل هذه الأعمال التى تنسب إليه ،وهى أعمال كثيرة فى فروع مختلفة من الثقافة كالمنطق والتاريخ والأخلاق وتاريخ الأديان وغيرها ، وقد نسب إليه ابن النديم ،فضلاً عما نسبه إليه من ترجمة أوائل المنطق ، أنه ترجم كتاب : خداى نامة فى السير ، وكتاب آيين نامة[١٦٩]

---

(١٦٤) leclerc:Histoire ...o.p.cite1/92

(١٦٥) القفطى : إخبار /١٧٧.

(١٦٦) الفهرست : ٣٣٧ ،والقفطى : إخبار ١٤٨ ، ١٤٩ ويذكر صاعد مايفيد أن بعض كتب المنطق قد ترجم قبل ابن المقفع ، وقد أورد ذلك فى قوله « وذكر أنه لم يكن ترجم منها إلى وقته إلا الكتاب الأول فقط » طبقات الأمم ١٣٠ ، ويمكن أن تكون هذه الترجمة قد وقعت فى عهد الدولة الأموية أيضا .

(١٦٧) أى من مائة وست وثلاثين للهجرة وما بعدها .

(١٦٨) انظر مثلاً : الفهرست : ١٧٢ ووفيات الأعيان ١٥٢/٢–١٥٤ والبداية والنهاية ٩٨/١٠، ٩٩.

(١٦٩) وهو كتاب فى الأخلاق ، إذ أن كلمة الآيين كلمة فارسية انتقلت من الفارسية الوسطى إلى الفارسية الحديثة ، ومعناها : العادات والأعراف والتقاليد والرسوم انظر د/ =

وكتاب كليلة ودمنة[170] ،وكتاب مزدك ،وكتاب التاج فى سيرة أنوشروان[171] ، ويضيف المسعودى إلى هذه المترجمات كتاباً فى تاريخ الفرس، يجرى فيه الحديث عن ملوكهم الأولين ، وما وقع بينهم من حروب ،ثم ما وقع من حروب بينهم وبين الترك ، « وهذا كله مشروح فى الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ، ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية ... وهذا الكتاب تعظمه الفرس ؛ لما قد تضمن من أخبار أسلافهم ،وسير ملوكهم »[172] .

ولم يقتصر عمل ابن المقفع على الترجمة ؛بل كانت له بعض المؤلفات أيضاً[173] وتدفعنا كثرة هذه المترجمات والمؤلفات ، وتنوعها ، وضخامة بعضها إلى هذا الاحتمال أو الفرض الذى سقناه ،وهو أن الفترة الأخيرة من حياته ربما ضاقت عن هذه الأعمال كلها ، ومن ثم فإنه لايكون من المستبعد أن تكون

عبد الرحمن بدوى : الأخلاق النظرية ، نشر وكالة المطبوعات - الكويت ط1/1975ص14هامش 1.

(170)يقول المسعودى إن واضع هذا الكتاب هو دبشليم الهندى ، ثم تُرجم الكتاب من الهندية إلى الفارسية ، ويقول صاعد إن الذى جلبه إلى الفارسية هو برزويه الحكيم الفارسى ، الذى أتى به إلى أنوشروان ، ثم ترجمه - فى الإسلام - عبد الله ابن المقفع من الفارسية إلى العربية . انظر : مروج الذهب ،طبعة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ط1973/5جـ80/1، 267، وانظر : طبقات الأمم ص57، 130، والقفطى :إخبار 148،149، 175وكان هذا الكتاب معظماً عند الفرس انظر مثلاً :القفطى : إخبار 98وزعم بعضهم أنه رموز فى الكيمياء ، انظر: كشف الظنون 1529/2. وهو زعم بعيد وغريب .

(171)انظر : الفهرست 172، وطبقات الأمم 130والقفطى : 148، 149.

(172)مروج الذهب 226/1ويرجع المسعودى إلى هذا الكتاب فى ذكره لبعض التواريخ انظر مثلاً 227/1.

(173)انظر : الفهرست 172، وطبقات الأمم 130.

بعض هذه الترجمات قد تمت فى عهد الدولة الأموية .

ب- ولعل مما يرجح هذا الاحتمال ويقويه أننا نجد بعض المعلومات التاريخية التى تشير إلى وقوع بعض الترجمات لعلوم الأوائل فى ظل الدولة الأموية، وقد نقل السيوطى بعض هذه المعلومات عن سابقيه ثم قال « فالحاصل من هذا كله أن علوم الأوائل دخلت إلى المسلمين فى القرن الأول ، لمَّا فتحوا بلاد الأعاجم ، ولكنها لم تكثر فيهم ، ولم تشتهر بينهم؛ لمَا كان السلف يمنعون من الخوض فيها »(١٧٤) وكانت هذه الترجمات وأمثالها هى السبيل التى عن طريقها عرف المسلمون ، فى هذه الفترة المبكرة نسبياً ، قدراً من المعرفة بالتراث اليونانى بطريق مباشر أو غير مباشر ، « وفى هذا ما يفسر لنا كيف عرف المسلمون بعض الأفكار اليونانية ، فى أخريات القرن الأول للهجرة ، وأوائل القرن الثانى ، قبل أن تبدأ حركتهم الكبرى فى الترجمة »(١٧٥) وإذا كانت هذه الترجمات لم تصل إلى أيدينا فليس معنى ذلك أن ننكر وجودها ،فليس عدم العلم بها علماً بالعدم كما يقال ، ولعلها ضاعت ضمن ما ضاع من تراثنا

---

(١٧٤)صون المنطق والكلام ٤٤/١، ٤٥، ويتفق الدكتور النشار مع هذا الرأى مستنداً إلى هذا النص وإلى نصوص أخرى ، يستنبط منها هذه النتيجة نفسها ، وإن كان بعضها لايصلح لتحقيق هذا الهدف ، وينطبق ذلك على النص الذى أخذه من الشهرستانى عن موقف واصل بن عطاء وأصحابه من نفى الصفات الألهية ، وهو موقف شهد تطوراً لدى أصحابه بعد مطالعتهم كتب الفلاسفة ، فيما يقول الشهرستانى . ومن المعروف أن أتباع واصل من رجال القرن الثانى لا من رجال القرن الأول ؛ لأن واصلاً اعتزل حلقة الحسن البصرى فى أوائل القرن الثانى ، وقد كانت وفاة الحسن البصرى سنة ١١٠هـ ثم كانت وفاة واصل ١٣١هـ انظر شذرات الذهب ١٨٢/١، ١٨٣. انظر مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ١٩-٢١وانظر نص الشهرستانى الذى اعتمد عليه فى الملل والنحل ٥٧/١، ٥٨ .

(١٧٥)د/مدكور :فى الفلسفة الإسلامية : منهج وتطبيقه ٢٦/٢ .

الذى عَدَتْ عليه عوادٍ كثيرة ، فى فترات متعددة من تاريخنا الثقافى ، والسياسى وقد كانت بعض هذه الكتب ما تزال باقية إلى عهد ابن النديم ، الذى حدثنا عن رؤيته لبعضها أو رؤية غيره لها(١٧٦) .

جـ- وليس يعنى ذلك - مطلقاً - أن الترجمة فى عهد الدولة الأموية قد وصلت فى نموها وازدهارها وشمولها إلى ما بلغته الترجمة فى عهد الدولة العباسية ، فهذا ما لا يتفق مع منطق التطور الذى تخضع له كثير من الظواهر الاجتماعية والإنسانية ،وهو تطور تدريجى وئيد عادةً، وهو يواجه - فى بعض الأحيان أو فى كثير منها - شعوراً بالرفض أو بالمقاومة التى تقلل من حركته وسرعته ،وقد أشار السيوطى إلى شيء من ذلك فى حديثه عن الترجمة ،حين ذكر أن علوم الأوائل لم تنتشر بين المسلمين « لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها »(١٧٧) ولعل عمر بن عبد العزيز كان يستشعر هذا الموقف ، عندما تردد - طويلاً - فى أن يخرج للناس كتاباً مترجماً فى الطب ، بحيث لم يخرجه لهم إلابعد أن استخار الله أربعين يوما(١٧٨) .

وإذا كان هذا العامل الاجتماعى أو النفسى - الذى يرتبط بدوافع دينية- يمثل عائقاً أمام الترجمة فى عصر الدولة الأموية ، فإن هناك عائقاً آخر يتعلق بالترجمة ذاتها ، فلقد كانت هناك فى العلوم المترجمة مصطلحات ليس لِلُغة

---

(١٧٦)انظر الفهرست ٤٩٧، ٤٩٨.

(١٧٧)صون المنطق ٤٥/١. وقد ورثت الفلسفة مثل هذا الموقف من بعد ،وبذل الفلاسفة الإسلاميون جهوداً مضنية للتقليل من آثاره ، وظهر ذلك فى صور متعددة من صور التقريب والتوفيق بين الدين والفلسفة : انظر لصاحب هذا البحث : فى الفكر الفلسفى الإسلامى ص ١٧٥وما بعدها إلى ٢٢٦.

(١٧٨)انظر ما سبق ص

العربية عهد بها(١٧٩) ، وينطبق ذلك على المصطلحات فى الطب والفلك والكيمياء ونحوها ، ويزداد الأمر صعوبة فيما يتعلق بالعلوم العقلية كالمنطق ونحوه، ولا شك أن المترجمين الأوائل قد عانوا صعوبات جمة فى هذا المجال ، بسبب عدم وجود « سوابق » يستندون إليها أو يعتمدون عليها ، من حيث البحث عن معادل للمصطلح المترجم ، أو الاعتماد على النحت ، أو الاشتقاق ، أو الإبقاء على المصطلح مع إعطائه صورة عربية ،إلى غير ذلك من الوسائل الممكنة، ولقد كان عليهم أن يختاروا كذلك نوع الطريقة الملائمة للترجمة ، وهل تكون ترجمة حرفية أو ترجمة بالمعنى ، أو تكون محاولة للجمع بينهما؟(١٨٠) ولقد كان على المترجمين الأوائل أن يواجهوا هذه الصعوبات وأمثالها ، وأن يقدحوا زناد فكرهم للوصول إلى حلول مناسبة لها ، وليس هذا بالأمر السهل ، لاسيما فى مراحل البدايات الأولى ، وقد بذلت – فى هذا الصدد – جهود ، لقيت تقدير واحد من كبار مؤرخى العلم العالميين وهو سارتون الذى يقول « كانت وسيلة النقل – فى الحضارة الإسلامية الجديدة– لغة لم تستعمل قبل هذا لأى غرض علمى(١٨١) وتتحتم ترجمة كل جزء ،مهما صغر – تقريباً– من المعرفة ،من اليونانية أو السنسكريتية أو الفهلوية ، قبل استيعابها ، وليس هذا فقط ؛ فإن تلك الترجمات جعلت من الضرورى إبداع مصطلح فلسفى وعلمى جديد تماماً ، وإذا أخذ المرء جميع تلك الأمور بنظر الاعتبار ، وبدلاً من الدهشة ، أمام قلة المحصول الأول – نسبياً– فلا مفرّ له إلا الإعجاب بضخامة الجهد ...»(١٨٢) .

---

(١٧٩)انظر : أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص٢٤٢، وضحى الإسلام ٢٨٥/١.

(١٨٠)انظر مثلاً : صون المنطق ٤٢/١، ٤٣.

(١٨١)المقصود هنا العلم بمعناه التجريبى ،كما يدل على ذلك السياق ، لا العلم بمعناه العام .

(١٨٢)نقلاً عن يوجين أ.مايزر : الفكر العربى والعالم الغربى ، ترجمة كاظم سعد الدين طبع بغداد ١٩٨٧ص٨٩

ولئن كان كلام سارتون ينطبق على فترة لاحقة تعود إلى أوائل حركة الترجمة فى عهد الدولة العباسية فإن انطباقه على عصر البداية الأولى ؛ لأنها أسبق فى الالتقاء بهذه الظاهرة التى يتحدث عنها ، ويمكن القول بأن قلة المحصول الأول ليست مما يثير الدهشة ،بل هى أمر طبيعى يتفق مع طبيعة البداية ، غالباً ، ولقد مثلت الدولة الأموية فترة التأسيس والتمهيد وارتياد الطريق ، وخاضت طريقاً مليئاً بالصعوبات والعقبات ، ووضعت بجهودها أساساً لصرح الترجمة ، الذى نما وازدهر فى عصر الدولة العباسية ، وهى جديرة ، بهذه الروح الرائدة ، وبما أثمرته من ثمرات فى حقل الترجمة أن يكون لها مكان مناسب عند الحديث عن حركة الترجمة فى الإسلام ، دون تجاهل أوإهمال ، وهذا ما حاول البحث إبرازه ، ونسأل الله التوفيق فيما حاولناه .

والحمد لله اولاً و آخراً

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولاً : اللغة العربية وما ترجم إليها :

* إبراهيم : فاضل خليل :

١-خالد بن يزيد : سيرته واهتماماته العلمية . بغداد ١٩٨٤ .

* ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد :

٢-عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، نشرة د/ نزار رضا ، مكتبة الحياة – بيروت د.ت .

* ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد :

٣-أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا وآخرين طبعة الشعب .

٤-الكامل ،دار صادر –بيروت .

* ابن تيمية : تقى الدين أحمد بن عبد الحليم :

٥-مجموع فتاوى ابن تيمية طبعة الرياض ط١/١٣٩٨هـ.

* ابن جلجل : أبو داود سليمان بن حسان :

٦-طبقات الأطباء الحكماء . تحقيق الأستاذ /فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ط١٩٨٥/٢.

* ابن خلدون :عبد الرحمن :

٧-مقدمة ابن خلدون ، طبعة الشعب .

* ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد :

٨-وفيات الأعيان ، تحقيق د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩.

* ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد :

٩-تهافت التهافت ،تحقيق د/ سليمان دنيا ، القسم الأول دار المعارف ، ط١٩٦٩/٢.

* ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهرى :

١٠-الطبقات ،دار صادر -بيروت .

* ابن عبد البر : أبو عمر يوسف :

١١-جامع بيان العلم وفضله ، إدارة الطباعة المنيرية ، د.ت.

* ابن العبرى : أبو الفرج غريغوريوس :

١٢-تاريخ مختصر الدول ، تصحيح وفهرسة انطون صالحان اليسوعى دار الرائد اللبنانى - بيروت ١٩٨٣.

* ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحى ...الحنبلى :

١٣-شذرات الذهب - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

* ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم :

١٤-المعارف ، تحقيق د/ ثروت عكاشة ، دار المعارف ط١٩٨١/٤.

* ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر :

١٥-مدارج السالكين ، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، نشرة الشيخ محمد حامد الفقى ، السنة المحمدية ١٩٥٦.

* ابن كثير : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل :

١٦-البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ،بيروت ط١٩٨١/٤.

* ابن المقفع : ساويرس :

١٧-كتاب سير الآباء البطاركة ، الجزء الأول ، باريس ١٩٠٤.

* ابن النديم : محمد بن إسحاق :

الفهرست ، دار المعرفة ، لبنان ١٩٧٨.

* ابن الهيثم : الحسن :

١٩-المناظر ، تحقيق د/ عبد الحميد صبرة ، الكويت ١٩٨٢.

* أبو ريان (د/ محمد على) :

٢٠-تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، دار النهضة العربية بيروت ط١٩٧٦.

* أرنولد : توماس :

٢١-الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن ، د/ عبد المجيد عابدين مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠.

* الأصبهاني : أبو الفرج :

٢٢-الأغاني ، مطبعة التقدم ، بعناية محمد أفندى ساسى المغربى جـ١٦.

* الأعظمى : د/ محمد مصطفى :

٢٣-دراسات فى الحديث النبوى . الرياض ١٩٨١.

* أمين : أحمد :

٢٤-ضحى الإسلام ، النههضة المصرية ط١٠، الجزء الأول .

٢٥-فجر الإسلام ، النهضة المصرية ط١٩٦٥/٥.

* الأندلسى : صاعد :

٢٦-طبقات الأمم ، تحقيق حياه بوعلوان ، دار الطليعة -بيروت ط١٩٨٥/١.

* الأهوانى : د/ أحمد فؤاد :

٢٧-الكندى : فيلسوف العرب .سلسلة أعلام العرب ، د.ت .

* أوليرى : ديلاسى :

٢٨-مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، ترجمة د/ تمام حسان ، الأنجلو المصرية ١٩٥٧.

* البخارى : محمد بن أسماعيل :

٢٩-صحيح البخارى : طبع استانبول ١٩٨١.

* براون : ادوارد .جى :

٣٠-الطب العربى ، ترجمة د/ سلمان على ، مطبعة العانى ، بغداد ١٩٦٤.

* البغدادى : (الخطيب) أحمد بن على :

٣١-تاريخ بغداد ، مكتبة الخانجى ١٩٣١جـ١٠.

* الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر :

٣٢-الحيوان ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٨جـ١ .

٣٣-رسائل الجاحظ ، جمع ونشر الأستاذ حسن السندوبى ، المطبعة الرحمانية ط١٩٣٣/١ .

* الجميلى : د/ رشيد :

٣٤-حركة الترجمة والنقل فى المشرق الإسلامى فى القرنين الأول والثانى . طبع ليبيا .د.ت .

* الحسن : د/ يوسف :

٣٥-دراسة فى الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ط١٩٩٠/١.

* حسينى : س. أ. ق:

٣٦-الإدارة العربية ، ترجمة د/ إبراهيم العدوى ، مكتبة الآداب ١٩٥٨.

* الخراسانى : د/ محمد غفرانى :

٣٧-عبد الله بن المقفع ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥.

* خليفة : حاجى :

٣٨-كشف الظنون ، دار العلوم الحديثة . لبنان .

* خودا بخش :

٣٩-الحضارة الإسلامية ، ترجمة د/ على حسنى الخربوطلى ، دار الكتب الحديثة .

* دراز : د/ محمد عبد الله :

٤٠-مدخل إلى القرآن الكريم ، ترجمة الأستاذ / محمد عبد العظيم على ، دار القرآن الكريم ، دار القلم ط١٩٧١/١.

* ديبور :

٤١-تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مكتبة النهضة المصرية ط٥.

* ديورانت : ول :

٤٢-قصة الحضارة ، ترجمة الأستاذ/ محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط١٩٧٤/٣مجلد٤جزء٢ .

* الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد :

٤٣-دول الإسلام ، تحقيق الأستاذين / فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

* رسّل : برتراند :

٤٤-تاريخ الفلسفة الغربية : الجزء الثالث : الفلسفة الحديثة ، ترجمة د/ محمد فتحى الشنيطى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.

* سارتون : چورچ :

٤٥-تاريخ العلم ، تُرجِم بإشراف د/ إبراهيم مدكور وآخرين ، دار المعارف ط١٩٧٩/٢جـ٤.

* سانتلانا :

٤٦-المذاهب اليونانية الفلسفية فى العالم الإسلامى ، طُبِعَ بإشراف د/ محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط١٩٨١/١.

* السيوطى : جلال الدين :

٤٧-صون المنطق والكلام ، عن فنىّ المنطق والكلام ، تحقيق د/ على سامى النشار ، د/ سعاد عبد الرازق ، مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠.

* الشهرستانى : عبد الكريم :

٤٨-الملل والنحل ، بهامش الفصل لابن حزم ، المطبعة الأدبية ١٣١٧هـ.

* الشهرزورى : شمس الدين :

٤٩-نزهة الأرواح ، وروضة الأفراح ، نشرة د/ عبد الكريم أبو شويرب .ليبيا ، ١٩٨٨.

* الطبرى : أبو جعفر بن جرير :

٥٠–تاريخ الرسل والملوك ، طبع مؤسسة عز الدين ، لبنان .

* الطويل : د/ توفيق :

٥١–فى تراثنا العربى الإسلامى ، الكويت ١٩٨٥.

* عبد الرازق : الشيخ مصطفى :

٥٢–فيلسوف العرب والمعلم الثانى ، دار إحياء الكتب العربية ط١/١٩٤٥.

* العسكرى : أبو هلال :

٥٣–الأوائل : تحقيق محمد السيد الوكيل ، دار نشر الثقافة ١٩٦٦.

* الفارابى : أبو نصر :

٥٤–الجمع بين رأيى الحكيمين ، مطبعة السعادة ط١/١٩٠٧.

* فروخ : د/ عمر

٥٥– بحوث ومقارنات فى تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة فى الإسلام،دار الطليعة –بيروت ط١/١٩٨٦.

٥٦–تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ،بيروت ط٤/١٩٨٣.

* القسطلانى : شهاب الدين أحمد بن محمد :

٥٧–إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٢٣هـ.

* القفطى : جمال الدين أبو الحسن على :

٥٨–إخبار العلماء بأخبار الحكماء . مكتبة المتنبى . القاهرة .د.ت .

* القلقشندى : أبو العباس :

٥٩–صبح الأعشى : المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر ١٩٨٥جـ٦ .

* قنواتى : د/ چورچ شحاته :

٦٠-المسيحية والحضارة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت . د.ت

* الكاشف : د/ سيدة :

٦١-عبد العزيز بن مروان ، سلسلة أعلام العرب ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .

٦٢-مصر فى فجر الإسلام ، النهضة العربية ط١٩٧٠/٢.

*كرم : الأستاذ/ يوسف :

٦٣-تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ط١٩٦٩/٥.

٦٤-تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط١٩٦٦/٥.

* الكندى : أبو يوسف يعقوب :

٦٥-رسائل الكندى ، تقديم وتحقيق الدكتور / محمد عبد الهادى أبو ريدة . دار الفكر العربى ط١٩٥٠/١جـ١.

* مايزر : يوجين . أ :

٦٦- الفكر العربى والعالم الغربى ، ترجمة الأستاذ/ كاظم سعد الدين بغداد ١٩٨٧.

* المبشر بن فاتك :

٦٧-مختار الحكم ومحاسن الكلم ، تحقيق د/ عبد الرحمن بدوى ، طبع المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠.

* مدكور : د/ إبراهيم بيومى :

٦٨- فى الفلسفة الإسلامية : منهج وتطبيقه ، دار المعارف ط١٩٧٦جـ٢.

٦٩- فى الفكر الإسلامى : القاهرة ط١٩٨٤/١.

* المسعودى : أبو الحسن على :

٧٠-مروج الذهب ، نشرة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، لبنان ط١٩٧٣/٥.

* مسلم : بن الحجاج بن مسلم :

٧١-صحيح مسلم بشرح النووى ، نشرة الأستاذ / عبد الله أحمد أبو زينة.طبعة الشعب . القاهرة .

* مظهر : الأستاذ / إسماعيل :

٧٢-تاريخ الفكر العربى ، بيروت . د. ت .

* المقريزى : أحمد بن على : خطط المقريزى ، تصوير دار صادر -بيروت، جـ١.

* النشار : د/ على سامى :

٧٤-مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ،دار المعارف ط١٩٧٨/٤.

* نلينو : كارلو :

٧٥- علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ، روما ١٩١١.

* هلال : د/ محمد غنيمى :

٧٦- النقد الأدبى الحديث ، نهضة مصر ط١٩٧٩/٢.

* اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب :

٧٧-تاريخ اليعقوبى ، دار صادر بيروت ، د/ت .جـ١ .

* يوحنا : منسى :

٧٨- تاريخ الكنيسة القبطية ، مكتبة المحبة ١٩٨٣.

ثانياً : المقالات :

* رشيد : د/ أمينة :

٧٩- الحقيقة عند العرب ، فى الكتاب الأكبر لروجه بيكون ، ضمن : أضواء عربية على أوروبا فى القرون الوسطى ، ترجمة / عادل العوا ، منشورات عويدات : بيروت ،باريس ط١٩٨٣/١.

* جيوم : الفريد :

٨٠- الفلسفة والإلهيات ، ضمن تراث الإسلام ، ترجمة د/ توفيق الطيل ، نشر

مكتبة الآداب ١٩٨٣جـ١.

* الخشاب : د/ يحيى :

٨١–في إسلام الفرس ، ضمن : تراث فارس بإشراف الأستاذ / أربرى ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩.

* سارتون : چورچ :

٨٢– العلم الإسلامى ، ضمن كتاب : الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته ، ترجمة د/ عبد الرحمن أيوب ، سلسلة الألف كتاب .د.ت .

* فهد : د/ توفيق :

٨٣– صورة أولى عن روافد العلوم العربية إلى أوربة الوسيطة ، ضمن أضواء عربية ، مرجع سابق .

* ليفى : ر :

٨٤– فارس والعرب ، ترجمة د/ محمد كفافى ، ضمن تراث فارس ، مرجع سابق .

* مايرهوف : ماكسى :

٨٥– من الإسكندرية إلى بغداد ، ضمن التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى ، دار النهضة العربية ط١٩٦٥/٣.

* مبارك : يواكيم :

٨٦– الإسلام والمسيحية ، هل أغنتهما معاركهما ؟ . ضمن أضواء عربية ، مرجع سابق .

ثالثاً : مراجع باللغة الفرنسية :

1-Brun , Jean , Aristote et le lycée. P.U.F 1977.

2-Cullmanne, Oscar , le Nouveau Testament P.U.F, 1966.

3-Leclerc ,Lucien : Histoire de la médecine arabe.Paris 1876.

الفهرس

رقم الإيداع ٧٥٣٠/٩٥
I.S.B.N
977 - 222 - 096 -2

دار الهاني للطباعة
شبرا الخيمة - ت
٢٢١٢٠٥٥